قضية جزيرة الأشرار

سلسلة العار بوليسية مثيرة للشباب

ع ٢٠٠

RASHID
WWW.DVD4ARAB.COM

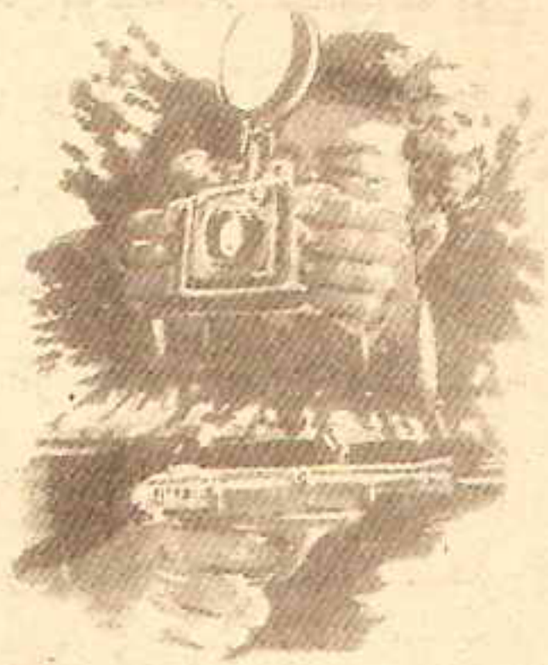

١ ــ خبطة صحفية ..

بدا ذلك الصباح جميلًا مشرقًا ، بالنسبة للصحفى (عصام كامل) ، الذى استيقظ فى السابعة صباحًا كعادته ، وغادر فراشه فى نشاط ، وفتح نافذة حجرة نومه ، وملأ صدره بالهواء ، وهو يبتسم هاتفًا فى ارتياح :

ــ ليس هناك ما هو أجمل من هواء الصباح المنعش النقى .

لميكد يتمّ عبارته ، حتى تسلّلت إلى أنفه رائحة عوادم السيارات ، التى بدأت تملأ الطرقات ، وتصاعد إلى أذنيه صوت أبواقها المرتفعة ، فعقد حاجبيه ، ومطّ شفتيه ، مكملًا عبارته :

ــ فى جزيرة نائية .

وأغلق زجاج النافذة ، وانطلق إلى المطبخ ، فأشعل الموقد ، ووضع فوقه إبريق الشاى ، وذهب ليستحم فى سرعة ، ثم يعود ليصب لنفسه قدحًا من الشاى ، يرتشفه فى استمتاع ، وهو يرتدى ثيابه ، وقد امتلأت نفسه كلها بنشاط جم ، وإقبال على الحياة ، و.....

وفجأة ارتفع رنين الهاتف ، فقفز نحوه ، والتقط سمَّاعته ، قائلًا فى نشاط :

ــ صباح الخير .. من المتحدِّث ؟

جاءه صوت رئيس التحرير الرصين ، وهو يقول :

ــ صباح الخير يا (عصام) .. إنه أنا .

ارتفع حاجبا (عصام) فى دهشة ، وهو يهتف :

ــ مرحبًا ياسيِّدى .. كم يُسعدنى أن يكون صوتك هو أوَّل ما أسمعه فى الصباح ، ولكن أى .....

قاطعه صوت رئيس التحرير فى حزم :

ــ أأنت مستعد لمهمة صحفية جديدة يا (عصام) ؟

شحذت العبارة حواس (عصام) ، فقال فى حماس :

ــ إننى مستعد دومًا ياسيِّدى .

خيِّل إليه أن صوت رئيس التحرير يحمل ابتسامة ، وهو يقول :

ــ كنت أتوقّع ذلك .

ثم أردف فى جدية واهتمام :

ــ لقد علمت من صديق لى ، برأس أحد أقسام مكافحة المخدرات ، أن هناك حملة خاصة ، لإلقاء القبض على بعض كبار

مهربى المخدرات ، بعد ساعة واحدة ، فى جزيرة (شدوان) ، ولقد فكَّرت أن تصحب رجال الحملة ، و.....

قاطعه (عصام) ، وهو يهتف فى حماس :

ــ متى وأين ؟

أجابه رئيس التحرير :

ــ سيصل إليك الرائد (فريد عثمان) بعد لحظات ، حيث سيصحبك إلى مطار حربى قريب ، ومن هناك ستقلُّكما هليوكوبتر حربية إلى الجزيرة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع رنين جرس باب منزل (عصام) ، فهتف هذا الأخير فى حماس :

ــ لقد وصل ياسيِّدى .

أجابه رئيس التحرير فى لهفة :

ــ اسمع يا (عصام) ، خذ آلة التصوير معك .. أريد منك أن تغطى كل لحظة ، وكل ثانية ، وكل دقيقة ، و.....

قاطعه فى حماس :

ــ سأفعل ياسيِّدى .

ودون أن ينتبه إلى مخالفة مايفعله لقواعد الذوق واللياقة ، أعاد سمَّاعة الهاتف ، وأسرع نحو الباب ، ولم يكد يفتحه ، ويلمح أمامه شابًا وسيمًا ، فى زى رائد شرطة ، حتى هتف :

ـــ إننى مستعد .

ابتسم الرائد (فريد) ، وقال فى هدوء :

ـــ لابأس .. هيابنا ..

* * *

استغرقت الرحلة ، من (القاهرة) إلى (شدوان) ، أقلّ من الساعة ، بالهليوكوبتر ، ولم تكد الجزيرة تلوح فى الأفق ، حتى سأل (عصام) الرائد (فريد) فى اهتمام :

ـــ قل لى ، كيف يُفترض أنها حملة مفاجئة ، على حين نصل نحن بهليوكوبتر عالية الصوت إلى الجزيرة ، وأنت ترتدى زيًا رسميًا ، يُمكن تمييزه من على بعد كيلو مترات ؟

ابتسم (فريد) ، وقال :

ـــ اطمئن ، كل شىء معدّ بدقة ، فهناك قاعدة عسكرية على الجانب الآخر من الجزيرة ، وقدوم الهليوكوبتر أمر مألوف .

ارتفع حاجبا (عصام) فى دهشة ، وهو يقول :

ـــ قاعدة عسكرية ؟!.. كيف يجرؤ البعض على استخدام الجزيرة لتهريب المخدرات ، فى وجود قاعدة عسكرية ؟

تنهّد (فريد) ، وقال :

ـــ إنها ليست جزيرة عسكرية ياأستاذ (عصام) .. إنها جزيرة عادية ، يرتادها الصيادون ، ويقيمون بها بعض الأكواخ ، على الجانب الغربى ، حيث ترسو مراكب الصيد ، ولاشأن لهم بالقاعدة العسكرية فى الجانب الشرقى .

سأله فى اهتمام :

ـــ معنى هذا أن عملية التهريب ستتم فى الجانب الغربى .

أومأ (فريد) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ هكذا بلغنا الأمر .

غمغم (عصام) فى دهشة :

ـــ بلغكم ؟!

أومأ (فريد) برأسه إيجابًا ، وقال فى هدوء :

ـــ إن مهربى المخدرات منظمات قوية للغاية ياأستاذ (عصام) ، تدير أمورها بشكل بالغ الدقة والتنظيم ، ورجالها لايعرفون الرحمة ، ويقدمون على القتل لمجرّد الشك ، فهم يزاولون تجارة غير قانونية ، وعنيفة ، وتبلغ عقوبتها حد الإعدام ، ثم إنهم يتعاملون بمبالغ ضخمة للغاية .

قال هذا والهليوكوبتر تهبط على الجانب الشرقى من الجزيرة ، فغادرها الاثنان ، وأسرعا نحو سيارة تنتظرهما ، و (فريد) يتابع :

ـــ والوسيلة الوحيدة لضبط عملية تهريب ضخمة ، هى معرفة توقيتها ومكانها بالضبط .

سأله (عصام) فى حيرة ، وهو يقفز معه داخل السيارة ، التى انطلق بها سائقها على الفور ، نحو الجانب الغربى :

ـــ وكيف يمكن التوصّل إلى ذلك ؟

لوّح (فريد) بكفه ، وهو يقول :

ـــ بالتغلغل فى صفوف المهربين .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ أتقصد أن لكم الآن عميلًا وسط الصفوف ؟

ضحك (فريد) ، وهو يقول :

ـــ إننا لانستخدم هذا المصطلح هنا .. يكفى أن تقول إن لنا رجلًا بين صفوف هؤلاء الأوغاد ، وهو الذى أبلغنا بأمر هذه الصفقة ، التى يبلغ حجمها مليار دولار .

هتف (عصام) فى ذهول :

ـــ مليار دولار ؟!

مطّ (فريد) شفتيه فى أسف ، وهو يقول :

ـــ مليار دولار ضائعة للأسف .

توقّفت بهم السيارة عند منطقة خالية ، تطلّ على شاطئ الجزيرة الغربى ، فأسرع الاثنان إلى حيث يختفى عدد من رجال الشرطة ، وقال (فريد) فى قلق :

ـــ هل وصل المركب ياسيِّدى ؟

أجابه عقيد الشرطة (مختار) :

ـــ ليس بعد .. إننا ننتظرها .

ثم استطرد فى لهفة :

ـــ ها هى ذى .

اتجهت أنظار الجميع إلى حيث يشير ، ورأوا مركب صيد ، تقترب من الشاطئ الغربى فى هدوء ، وهى تحمل على مقدمتها اسمًا واضحًا ، بحروف كبيرة ..

اسم (الفنارة) ..

وغمغم (فريد) فى حماس :

ـــ ها هى ذى (الفنارة) تسقط فى الفخ .

وضع العقيد (مختار) منظاره المقرّب على عينيه ، وراح يفحص المركب فى اهتمام ، قبل أن يغمغم فى شك :

ـــ عجبًا !!.. لايوجد أى مخلوق على سطحها .

أجابه رجل شرطة قريب :

ـــ ستجدهم جميعًا فى قاعها ياسيِّدى .

غمغم العقيد (مختار) فى قلق :

ـــ أتظن ذلك ؟

أجابه فى ثقة :

ـــ بالتأكيد ياسيِّدى .. إنها ليست أوَّل مرة .

ساد الصمت التام ، حتى رست مركب الصيد على الشاطئ الصخرى ، وراحت الأمواج تداعبها فى هدوء ، والجميع يراقبونها فى حذر ، حتى هتف العقيد (مختار) فجأة :

ـــ الآن ..

وهنا اندفع رجال مكافحة المخدرات ، من كل صوب ، نحو مركب الصيد ، وهم يحملون مدافعهم الآلية ، وأحاطوا بالمركب لحظة ، ثم قفز العقيد (مختار) والرائد (فريد) على سطحها ، ومعهم عشرات الرجال ، على حين بقى (عصام) مع بضعة رجال على الشاطئ ، وهو يلتقط الصور فى لهفة وسرعة ..

ولم تكن هناك مقاومة قط ..

بل لم يكن هناك رجال ..

كان المركب خاليًا تمامًا ..

ومال (عصام) على أحد الرجال ، يسأله فى حيرة :

ـــ ألا توجد مقاومة على الإطلاق ؟

تردَّد الرجل لحظة ، ثم أجاب :

ـــ هذا يحدث عادةً .. أعنى أنه توجد مقاومة فى كل الأحوال ، ولكننى لست أدرى لم لا توجد أيَّة مقاومة فى هذه المرة ؟

سأله (عصام) فى قلق :

ـــ ألا يحتمل أنها خدعة ؟.

عقد الرجل حاجبيه ، وغمغم فى توتر :

ـــ خدعة ؟!

صمت لحظة ، وكأن الفكرة قد أقلقته ، ثم استطرد فى توتر بالغ :

ـــ هل من المحتمل أن .....؟

وقبل أن يتمّ عبارته ، دوى الانفجار الرهيب ..

وفى لمح البصر ، اختفت (الفنارة) ..

تحوَّلت بكل ما عليها ، ومن عليها ، إلى فتات ..

ودماء ..

★ ★ ★

٢ ــ المجزرة ..

كانت مفاجأة مذهلة ..

انفجار أطاح بالعقيد (مختار) ، ومزَّق الرائد (فريد) ، وحوَّل عشرات من رجال الشرطة إلى أشلاء متناثرة ، ودماء غزيرة ، ذابت فى مياه البحر ، الذى استحقَّ عن جدارة اسم (البحر الأحمر) ..

ونتجت عن الانفجار موجة هائلة ، من تضاغط الهواء ، ألقت (عصام) والرجال المصاحبين له فوق الصخور ، وحطَّمت آلة التصوير ، وأثارت زوبعة هائلة من الأتربة والرمال والأدخنة ..

وصرخ أحد رجال الشرطة فى ارتياع :

ــ لقد كانت خدعة !!.. كانت خدعة !!.

وهتف آخر فى ذهول :

ــ إننى لم أر شيئًا كهذا أبدًا .. أبدًا .

وقف رجال الشرطة العشرة ، و (عصام) ، يحدِّقون فى المشهد المؤلم فى ذهول ، وقد عجزوا تمامًا عن تمييز أجساد رفاقهم ، أو حتى بقاياها ، وسط بحر الدماء والشظايا ..

ثم تفجَّر كل غضب أحدهم ، وهو يرفع مدفعه الآلى ، صارخًا :

ــ لن يفلت هؤلاء الحقراء بفعلتهم .. سيدفعون الثمن .

وهنا فتح الجحيم أبوابه ..

وكانت مجزرة حقيقية ..

انهالت الرصاصات من كل مكان ، على رجال الشرطة ..

انهالت كالمطر ..

وأصيب (عصام) بمزيج من الرعب والذهول ، إزاء كل هذا العنف ، الذى لم ير له مثيلًا فى حياته كلها ، حتى عندما كان يحارب (الموساد) ، مع جهاز مباحث أمن الدولة فى السابق(*) ..

وتساقط رجال الشرطة حوله ..

سقطوا وسط بركة جديدة من الدماء ، تكوَّنت على الشاطئ ..

وفجأة أصابته رصاصة فى ساقه ، وأخرى فى معدته ..

وتفجَّرت الدماء من جروحه ..

(*) راجع قصة (قضية قلب الجحيم) .. المغامرة رقم (٤٠) .

وتصاعد الألم فى جسده كالنيران ..

وسقط ..

ووسط سحابة من الأدخنة والرمال ، سكنت كل الأصوات ، إلا من صوت أقدام تقترب ..

ومن عينين تقاومان غيبوبة عنيفة ، رأى (عصام) وجهًا بغيضًا ..

وجه رجل ضخم ، يبتسم فى سخرية ، زادت من غلظة ملامحه وعنفها ، وقسوتها ، وهو يحمل مدفعًا رشاشًا ، وينقل بصره بين جثث الضحايا ..

ومن خلفه ارتفع صوت ، يقول :

ــ هيا يا (صفوان) .. فلنبتعد قبل أن يأتى الجيش ..

ضاقت عينا الغليظ ، وهو يدير هما فى المكان ، بين جثث الضحايا ، مرة أخرى ، ثم أطلق ضحكة بغيضة ، وقال :

ــ هيا .. لقد كان الدرس قاسيًا هذه المرة ..

وسمع (عصام) وقع أقدامهم يبتعد ..

وسمع صوت زورق بخارى ..

ثم انتهى كل شىء ..

وهوى فى هوة الظلام ..

★ ★ ★

ومن عينين تقاومان غيبوبة عنيفة ، رأى (عصام) وجهًا بغيضًا ..

جاء الخروج مباغتًا ..

تمامًا كالدخول ..

فجأة انقشع الظلام ، وتبدّد الصمت ..

وعاد (عصام) إلى عالم الأحياء ..

وعادت الأصوات تتخذ شكل كلمات واضحة مفهومة ، ونبرات معروفة مألوفة ، ففتح (عصام) عينيه ، مغمغمًا فى ألم :

ــ أين أنا ؟

رأى أمامه صورة وجه مهتز ، غير مميّز ، لم تلبث ملامحه أن اتضحت تدريجيًا ، وهو يقول :

ــ حمدًا لله يا (عصام) .. لقد نجوت بأعجوبة .

رسم (عصام) على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم فى إعياء :

ــ هذا يدهشنى أيضًا فى الواقع ، فالمجزرة التى شهدتها هذا الصباح ، تجعل من العجيب أن يبقى مخلوق واحد على قيد الحياة.

تنهّد العقيد (عادل محمود) ، وهو يغمغم :

ــ هذا الصباح ؟!

ثم مال نحو (عصام) وربت على كتفه فى إشفاق ، مستطردًا فى عطف :

ــ لقد حدث ذلك منذ أسبوع كامل .

ارتفع حاجبا (عصام) ، وهو يهتف فى دهشة :

ــ أسبوع ؟!

أومأ (عادل) برأسه إيجابًا ، وقال فى خفوت ، وبنبرة تجمع مابين الحزن والألم :

ــ نعم يا (عصام) .. كان ذلك منذ أسبوع كامل ، ولقد قضى الجميع نحبهم فيما عداك .. أنت الوحيد الذى نجا من الموت ، وبأعجوبة ، فلقد عثر عليك رجال معسكر الجيش ، عندما انتقلوا إلى مكان الحادث ، إثر الانفجار ، ودوى الرصاصات ، وكنت مصابًا برصاصة فى ساقك ، وأخرى فى معدتك ، وتم نقلك بالهليوكوبتر على وجه السرعة ، إلى مستشفى (السويس) ، حيث أجريت لك عمليتان جراحيتان ، تم بوساطتهما انتزاع الرصاصتين من جسدك ، ولكنك كنت قد فقدت أكثر من لترين من الدماء ، فتمّ وضعك داخل حجرة العناية المركّزة لمدة خمسة أيام ، وأنت هنا فى حجرتك منذ يوم كامل .

أغلق (عصام) عينيه فى ألم ، وهو يغمغم :

ــ وأين العقيد (مختار) ، والرائد (فريد) ؟

غمغم (عادل) فى مرارة :

ــ كلهم ذهبوا يا (عصام) .. كلهم ذهبوا .

هتف (عصام) فى ألم :

ــ اللعنة !!

زفر (عادل) فى عمق ، ونهض من طرف فراش (عصام) ، وهو يقول فى جدية :

ــ إنها مجزرة لم يحدث مثلها فى تاريخ الشرطة كله يا (عصام) ، فقدنا فيها عشرة ضباط ، وستة وثلاثين جنديًا ، جميعهم لقوا حتفهم ، بالإضافة إلى رجل شرطة سرى ، كان قد اندسّ فى صفوف شبكة المخدرات منذ عام كامل ، فقد عثرنا عليه مذبوحًا فى منطقة نائية .

غمغم فى ارتياع :

ــ يا إلٰهى !!..

عاد (عادل) يواصل فى توتر غاضب :

ــ وهكذا فقدنا كل شىء .. وصارت المسافة التى تفصلنا عن هؤلاء المجرمين أبعد مما كانت بأميال ..

هتف (عصام) فى حنق :

ــ أتعنى أنهم سيفلتون بفعلتهم الحقيرة ؟

صمت (عادل) ، وشرد ببصره طويلًا ، قبل أن يغمغم :

ــ سيحدث هذا حتمًا .. مالم ..

قاطعه (عصام) فى لهفة :

ــ مالم ماذا ؟

عقد (عادل) حاجبيه ، واكتسى صوته بحزم وصرامة ، وهو يجيب :

ــ مالم نتصدَ لهم .

هتف (عصام) :

ــ لن يكون ذلك عسيرًا ، فأنتم تعرفونهم ، و.....

قاطعه (عادل) فى حزم :

ــ الدليل يا (عصام) .

سأله فى حيرة :

ــ ماذا تعنى ؟

أجابه فى صرامة :

ــ إننا نعرف معظم أفراد العصابة ، ولكننا نجهل أمرين .. أوَلهما : هو « من زعيم العصابة الحقيقى » ؟ وثانيهما : « كيف يمكن الإيقاع بالعصابة كلها ، مع وجود دليل كاف لمحاكمتهم » ؟

رانَ الصمت لحظة ، ثم قال (عصام) فى قوة :

ـــ وما الوسيلة لمعرفة ذلك ؟

التفت إليه (عادل) ، وتطلَّع إلى عينيه لحظة فى صمت ، ثم قال فى حزم :

ـــ أن يصبح لنا رجل آخر بين صفوفهم .

تمتم (عصام) فى خفوت ومهابة :

ـــ رجل آخر ؟!

أومأ (عادل) برأسه إيجابًا ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فانعقد حاجبا (عصام) ، واستعاد ذهنه كل مشاهد المذبحة الرهيبة ..

صعود رجال الشرطة إلى المركب ..

الانفجار ..

انهمار الرصاصات كالمطر ..

بحر الدماء ..

الأشلاء ..

وفجأة تألقَّت عيناه ببريق حازم قوى ، وردَّد فى صرامة :

ـــ رجل آخر .

سأله (عادل) فى خفوت :

ـــ تُرى هل يوافق ذلك الرجل ؟

أجابه فى حزم :

ـــ بالتأكيد .

قالها بكل حزمه وقوته وإصراره ..

وارتجف شيطان الشر ..

★ ★ ★

٣ ــ الخطــة ..

كان يجلس هادئًا ، يطالع كتابًا حديثًا فى اهتمام ..
وفجأة بدأت أصابعه ترتجف .
وشحب وجهه .
وسال خيط من اللعاب ، من طرف شفتيه ..
وانتقلت ارتجافة أصابعه إلى يده كلها ..
فذراعه ..
فجسده ..
ثم تحوَّلت الارتجافة إلى انتفاضة قوية ..
وبدأ يخمش ذراعيه فى عنف ، وكأنما تجرى عشرات الديدان تحت جلده ..
وزاغ بصره ..
وهتف فجأة :
ــ أريد جرعة دواء .. الآن .. أرجوكم .. الآن ..
ارتفع حاجبا الطبيب ، الذى يراقب ذلك المشهد فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن هتف فى انبهار :

ــ رائع يا أستاذ (عصام) .. رائع .. لقد لعبت دور المدمن بمهارة فائقة ، حتى أنك لتخدعنى أنا نفسى ، لو لم أكن أعلم أنك تفتعل ذلك .. يا إلٰهى !.. لقد كان بإمكانك أن تصبح ممثلًا ، وليس صحفيًا .
ابتسم (عصام) فى ارتياح ، على حين عقد (عادل) حاجبيه ، وهو يسأل الطبيب فى اهتمام :
ــ هل أقنعك حقًا ؟
هتف الطبيب مبهورًا :
ــ بالتأكيد .
مال (عادل) نحوه ، وقال فى حزم :
ــ اسمع أيها الطبيب .. هذا الأمر بالغ الخطورة ، فسيكون على (عصام) أن يؤدى ذلك المشهد ، فى حضرة عدد من أشرس القتلة والسفّاحين فى العالم ، وسيكون عليه أن يقنعهم تمامًا ، وإلا فإنهم سيذبحونه بلاشفقة أو رحمة ، وهذا يعنى أنه لامجال للمجاملات ، فلو أنك ترى أى ضعف فى المشهد ، فعليك أن تشرحه لـ (عصام) ، وتطلب منه إعادته عشرات المرات ، حتى يجيده تمامًا .
هتف الطبيب :

ـــ لقد أجاده تمامًا بالفعل .

وصمت وهلة ، ثم استدرك :

ـــ فيما عدا ..

هتف به (عادل) فى لهفة وقلق :

ـــ فيما عدا ماذا ؟

أجابه الطبيب فى اهتمام :

ـــ فيما عدا العرق ، الذى ينبغى أن يتصبَّب على وجه المدمن ، مع بداية النوبة ، وحتى آخرها ، وإن كنت أجهل كيف يمكنه افتعاله .

عقد (عادل) حاجبيه مفكِّرًا ، وهو يسأله :

ـــ أهو حتمى ؟

أومأ الطبيب برأسه إيجابًا ، وغمغم فى أسف :

ـــ أخشى أنه كذلك .

تنهَّد (عادل) فى عمق ، وقال :

ـــ لابأس .. سنبحث عن حل لذلك .

غادر المستشفى مع (عصام) ، الذى سأله فى قلق ، وهو يدلف داخل سيارته :

ـــ كيف يمكننا افتعال العرق ؟

غمغم (عادل) فى شرود :

ـــ دعنى أفكِّر ، وانطلق بنا إلى الإدارة .

انطلق (عصام) بسيارته ، نحو إدارة مباحث أمن الدولة ، وبقى صامتًا معظم الوقت ، إلى أن قال :

ـــ اسمع يا سيادة العقيد .. لقد وافقت منذ أسبوعين ، على أن أكون رجلكم فى تلك المنظمة ، ومنذ ذلك الحين .. وبالتحديد منذ مغادرتى المستشفى ، تلقيت تدريبات مكثَّفة فى هذا الشأن ، ويمكننى الآن التمييز بين عدد كبير من أنواع المخدرات ، واختبار عشرة أنواع على الأقل من الهيروين ، بمجرَّد التذوّق ، وأتقنت تمثيل دور المدمن ، إلا أننى أشعر فى هذه اللحظة ، أننا نواجه أصعب تحد ممكن ، فمن السهل أن أفتعل سيلان اللعاب من فمى ، فى أثناء النوبة ، ولكن كيف يُمكن افتعال العرق ؟

تنهَّد (عادل) ، وغمغم :

ـــ لست أدرى .

هتف (عصام) :

ـــ ومن المستحيل أن ألقى نفسى بين أنياب هؤلاء الذئاب ، وأنا أعلم بوجود قصور رهيب فى الخطة .

عاد (عادل) يغمغم فى خفوت :

ــ بالطبع :

ثم لم يلبث أن اعتدل ، وأردف فى حزم :

ولكننى سأترك حل تلك المشكلة للدكتور (حاتم) ، الخبير الكيميائى بالإدارة .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى عمق :

ــ إنه الآن أملنا الوحيد ..

★ ★ ★

كان الدكتور (حاتم) ، الخبير الكيميائى ، رجلًا هادئ الملامح ، بسيط التعبيرات ، قصيرًا ، نحيلًا ، استمع إلى العقيد (عادل محمود) فى هدوء ، ثم هزَّ رأسه دلالةً على الفهم ، وقال فى بساطة :

ــ إذن فكل ماتريدونه هو العرق .

أجابه (عادل) :

ــ بالضبط .

ابتسم الدكتور (حاتم) ابتسامة هادئة ، وقال :

ــ هذا أمر بسيط .

هتف به (عصام) فى لهفة :

ــ ألديك الحل ؟

ابتسم وهو يجيب :

ــ بالطبع .. إننا نحتاج إلى جرعة من (البروسيتجمين) ، و.....

ثم بتر عبارته بغتة ، والتفت نحو صوان ضخم ، يحوى عددًا هائلًا من الأدراج الصغيرة ، فتناول منه قرصين ، ناولهما لـ (عصام) ، قائلًا :

ــ تناول هذين ، قبل ساعة واحدة من تلك اللحظة ، التى تريد أن يتصبَّب فيها العرق على جسدك .

سأله فى شغف :

ــ وهل سيتصبَّب ؟

اتسعت ابتسامة الدكتور (حاتم) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ كالشلَّالات ..

وكانت ابتسامته تحمل الثقة ..

كل الثقة ..

★ ★ ★

كانت الخطوة الأخيرة فى قسم الأجهزة الإليكترونية ، حيث سأل المهندس المسئول (عصام) فى هدوء :

والتفت نحو صوان ضخم ، يحوى عددًا هائلًا من الأدراج الصغيرة ، فتناول منه قرصين ، ناولهما لـ (عصام) ..

ـــ هل تُدخّن يا أستاذ (عصام) ؟

أجابه (عصام) :

ـــ كلَّا .. أهذا ضرورى ؟

ابتسم المهندس ، وهو يقول :

ـــ ليس ضروريًا بالطبع ، وإنما سألتك ؛ لأحدِّد أى نوع من آلات التصوير الخفية يصلح معك .

غمغم (عصام) مشدوهًا :

ـــ آلات تصوير خفية ؟

أجابه المهندس فى هدوء :

ـــ بالطبع ، فلست أظنك ستلتقط صور رجال العصابة ، بآلة تصوير عادية ، وتطالبهم بالابتسام أيضًا .

ثم التقط عدة أدوات عادية ، وضعها أمام (عصام) ، قائلًا :

ـــ لدى هنا آلة تصوير على هيئة قدَّاحة ، وأخرى بشكل ساعة يد ، وثالثة على هيئة دبوس صدر ، و.....

قاطعه (عصام) فى هدوء :

ـــ سآخذ ساعة اليد .

مطَّ المهندس شفتيه ، وكأنما لايروق له أن يقاطعه (عصام) على هذا النحو ، وغمغم :

ـــ هذا شأنك على أية حال .

ثم ناوله حافظة نقود جلدية ، مستطردًا :

ـــ ما رأيك فى جهاز التسجيل الصوتى الصغير هذا ؟

تطلَّع (عصام) إلى الحافظة فى دهشة ، وهتف :

ـــ رائع .

تنهَّد (عادل) فى ارتياح ، وقال :

ـــ لقد كانت هذه هى آخر خطوة يا (عصام) .

واكتسى صوته بالحزم ، وهو يستطرد :

ـــ والآن سيبدأ العمل الجاد .. ستلقى نفسك غدًا فى قلب جهنم ..

وصمت لحظة ، ثم أردف فى قوة :

ـــ وستبدأ الخطة ..

* * *

٤ ـــ البدايـــة ..

قرأ (هاشم مندور) ، صاحب شركة العقارات الكبرى ، تلك البطاقة ، التى أحضرها له مدير مكتبه ، وعقد حاجبيه فى قلق ، مغمغمًا :

ـــ (عصام كامل) الصحفى ؟!.. ماذا يريد ياتُرى ؟

أجابه مدير مكتبه فى مهابة :

ـــ يقول إنه يريد الحصول على حديث صحفى معك ياسيِّدى .

ازداد انعقاد حاجبى (هاشم) ، وهو يغمغم :

ـــ حديث صحفى ؟!

وصمت طويلًا ، وهو يفكِّر فى عمق ، حتى أن مدير مكتبه قد شعر بالقلق ، فغمغم مرتبكًا :

ـــ أنحدِّد له موعدًا فيما بعد ؟

التفت إليه (هاشم) بحركة حادة ، وهو يقول :

ـــ كلَّا .

ثم استعاد هدوءه دفعة واحدة ، مستطردًا :

ـــ سأستقبله الآن .

انحنى مدير المكتب ، وهو يغمغم :

ـــ كما تأمر ياسيِّدى .

ثم أسرع ينفذ الأمر ، على حين عاد (هاشم) يغمغم فى قلق :

ـــ (عصام كامل) ؟!

كان يصلح ممثلًا ناجحًا بحق ، فعلى الرغم من كل حيرته ، وكثرة التساؤلات ، التى تملأ عقله ، وتوتره الشديد ، إلا أنه لم يكد يلمح (عصام) ، وهو يدلف إلى مكتبه ، حتى ألقى كل هذا وراء ظهره ، ورسم على شفتيه ابتسامة هادئة واسعة ، وهو ينهض لاستقبال (عصام) ، هاتفًا :

ـــ أستاذ (عصام كامل) ..ياله من شرف أن تأتى إلى مكتبى !!

صافحه (عصام) ، وهو يغمغم :

ـــ إنه شرف لى ياسيِّد (هاشم) .

انتقلت عينا (هاشم) فى اهتمام ، مابين ابتسامة (عصام) الباهتة ، وشعيرات ذقنه نصف النامية ، وشحوب وجهه ، وارتجافة أصابعه ، واضطرابه الواضح ، وهو يقف أمامه ، وبداله كل هذا مألوفًا ، وهو يقول له :

ـــ اجلس ياأستاذ (عصام) .. تفضّل .

لاحظ فى اهتمام كيف تضاعفت ارتجافة أصابع (عصام) ، وهو يجلس أمامه ، ويتطلّع إليه بعينين زائغتين ، فعاد يستطرد فى هدوء :

ـــ ماالذى يمكننى أن أقدّمه لك بالضبط ياأستاذ (عصام) ؟

غمغم (عصام) فى ارتباك :

ـــ إنه حديث صحفى تقليدى ، عن أزمة الإسكان فى (مصر) و.....

قاطعه (هاشم) فجأة :

ـــ أزمة الإسكان ؟!.. عجبًا !!.. وماصلة صحفى ناجح ، تدوى تحقيقاته البوليسية فى (مصر) كلها ، بالأحاديث عن أزمة الإسكان ؟

خيِّل إليه أن سحابة كثيفة من حزن دفين ، قد مرَّت بعينى (عصام) ، وهو يغمغم فى شحوب :

ـــ لم تعد هناك تحقيقات بوليسية .

اعتدل (هاشم) بحركة حادة ، وهو يهتف :

ـــ ماذا ؟!..

ثم انعقد حاجباه فى تساؤل واضح ، مردفًا :

ــ لماذا ؟

بداله (عصام) مرتبكًا تمامًا ، وهو يغمغم :

ــ يقولون إننى لم أعد .. لم أعد ..

هتف (هاشم) يستحثه على الجواب :

ــ لم تعد ماذا ؟

تردَّد (عصام) طويلًا ، قبل أن يجيب فى خفوت ، وبلهجة تحمل قدرًا هائلًا من المرارة :

ــ لم أعد أصلح لذلك .

ارتفع حاجبا (هاشم) فى دهشة ، وتراجع فى مقعده ، هاتفًا :

ــ لم تعد تصلح لذلك ؟!

أثار انتباهه فى شدة تلك الارتجافة ، التى بدت فى شفتى (عصام) وأصابعه ، وضاقت حدقتاه ، وهو يتطلَّع إلى ذلك العرق الغزير ، الذى بدأ ينبع من مسام (عصام) ، ويتصبَّب على وجهه المحتقن ، وسمع صوت (عصام) المرتجف ، وهو يقول :

ــ هل .. هل يمكننى الذهـ .. الذهاب إلى .. إلى دورة المياه؟

مال (هاشم) نحوه ، وهو يسأله فى صرامة :

ــ لماذا ؟

شحب وجه (عصام) فى شدة ، وانتقلت الارتجافة من أصابعه إلى جسده كله ، وهو يقول فى عصبية :

ــ ليس هذا من شأنك .. إنه .. إنه شأنى أنا .

وهنا فهم (هاشم) كل شىء ..

أو هكذا خيِّل إليه ..

وفى حزم وصرامة ، أجاب :

ــ كلَّا يا أستاذ (عصام) .. لست أسمح لك بالذهاب إلى دورة المياه ..

هبّ (عصام) من مقعده ، وراح جسده كله ينتفض فى عنف ، وهو يصرخ :

ــ لابد أن أذهب .. لابد .

أجابه (هاشم) فى صرامة :

ــ لن تذهب .

حدَّق (عصام) فى وجهه لحظة ، ثم صرخ :

ــ أيها الوغد .

وبعصبية زائدة ، راح يفرغ محتويات جيوبه فوق المكتب ..

وبعصبية زائدة ، راح يفرغ محتويات جيوبه فوق المكتب ، وتركّزت عينا (هاشم) على ورقتين صغيرتين ، تحويان مسحوقًا أبيض اللون ، ولم ينبس ببنت شفة ، عندما اختطف (عصام) إحداهما ، وفضّها فى لهفة وعصبية ، وأدناها من أنفه ، وراح يشم المسحوق ، ويستنشقه فى عمق ، ثم راح يلحس بقاياه على الورقة بطرف لسانه فى لهفة ، قبل أن ينهار فوق أقرب مقعد ، ويلهث فى عنف ..

وهنا التقط (هاشم) الورقة الأخرى ، وفضّها فى سرعة ، وتناول بضع ذرات من المسحوق ، على طرف أصابعه ، وتذوّقه فى اهتمام ، ثم هتف فى صوت يجمع مابين الظفر والدهشة :

ـــ هيروين ؟!

لم ينتبه إلى أن (عصام) قد دسّ الورقة الأخرى الخالية فى جيبه ، قبل أن يتظاهر بالاسترخاء التام ، وإن واصل العرق تصبّبه على جبينه ووجهه ..

وهبّ (هاشم) من مقعده ، واندفع نحو (عصام) ، وجذبه من قميصه ، وهو يهتف فى صرامة :

ـــ مدمن ؟!.. أنت مدمن إذن .. هذا هو السبب .. إنك لم تعد تصلح للتحقيقات البوليسية ، لأنك صرت مدمنًا .

خيّل إليه أن (عصام) على وشك البكاء ، وهو يهتف :

ــ أرجوك .. لاتخبر أحدًا بذلك ، لاتدمّر مستقبلى .

هتف (هاشم) فى سخرية :

ــ ولكنك مدمن هيروين ، ياصحفى التحقيقات البوليسية الشهير .. أنت الآن مجرّد عبد للمخدرات ، ولابد أن يعلم قراؤك ذلك .

تشبّث (عصام) بذراعه ، وهو يقول فى ضراعة :

ــ أرجوك .. ستدمّر مستقبلى .

صاح (هاشم) :

ــ وهل يكفى راتبك لذلك ؟

انهار (عصام) ، أو هو أجاد تمثيل دوره ، وهو يقول :

ــ كلّا .. لم يعد يكفى .

ابتسم (هاشم) فى سخرية ، وقال :

ــ بالتأكيد .. إنه لن يكفى ليوم واحد .

أطرق (عصام) برأسه ، وهو يقول فى مرارة :

ــ إننى أستدين ، وأحصل على بعض الرشاوى ، من أناس يخشون سمعتى السابقة ، فى كشف الجرائم ، ولكن هذا لن يستمر إلى الأبد .

تطلّع إليه (هاشم) فى ازدراء ، ثم عاد إلى مكتبه ، وجلس خلفه ، وعاد يتطلّع إليه فى صمت بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ــ إذن فأنت تحتاج إلى وظيفة جديدة ، تمنحك دخلًا جيّدًا ، يتيح لك شراء مايلزمك من الهيروين .

غمغم (عصام) فى مرارة :

ــ أين هى تلك الوظيفة ؟

صمت (هاشم) لحظة ، ثم اعتدل فى مقعده ، قائلًا فى قوة :

ــ عندى .

رفع (عصام) عينيه إليه فى دهشة ، وهتف :

ــ عندك ؟!

أجابه (هاشم) فى حزم :

ــ نعم .. عندى الوظيفة المناسبة لك ..

هتف (عصام) فى لهفة :

ــ إلَىّ بها إذن .. أنا رهن إشارتك ، منذ هذه اللحظة .. سأستقيل من عملى بالجريدة فورًا لو أردت ، و.....

قاطعه (هاشم) فى حزم :

ـ كلّا .. الوظيفة التى أعرضها عليك تشترط بقاءك فى عملك كصحفى .

هتف (عصام) :

ـ حسنًا .. سأبقى .. سأبقى .. أين الوظيفة ؟

ابتسم (هاشم) فى سخرية ظافرة ، وقال :

ـ ليس الآن يا أستاذ (عصام) .. ليس الآن .. ستحصل عليها بعد أسبوع واحد ..

هتف (عصام) فى ذعر :

ـ أسبوع كامل ؟ وكيف سأحتمل هذا الأسبوع ؟

أجابه (هاشم) فى حزم :

ـ ستحتمل يا (عصام) .. ستحتمل من أجل الوظيفة .

بدا له (عصام) منهارًا ، وهو يقول :

ـ سأحتمل ياسيِّد (هاشم) .. سأحتمل .

ولم يدر (هاشم) لحظتها ، وهو يلعب دور الصياد ، أنه قد التهم الطعم عن آخره ..

وأن اللعبة قد بدأت ..

★ ★ ★

٥ ـ الزعـيم ..

ظلّ (هاشم) صامتًا يفكّر ، لنصف ساعة كاملة ، بعد انصراف (عصام) ، ثم نهض من خلف مكتبه ، وغمغم فى شرود :

ـ ما من شك .

ثم ضغط زر جهاز الاتصال الداخلى ، الذى يوصل مكتبه بمكتب سكرتيره الخاص ، وقال :

ـ اسمع يا (منير) .. احجز لى جناح بـ (شيراتـون) الجزيرة .. نعم .. نفس الجناح المعتاد ..

وأنهى الاتصال ، وتنهَّد فى عمق ، وهو يغمغم :

ـ لاينبغى أن أتحمّل مسئولية هذا القرار وحدى .. لابد من استشارة الزعيم ، فإما أن نضمّ الصحفى إلى صفوفنا ، أو.....

صمت لحظة ، ثم أردف فى عمق :

ـ أو نقتله ..

★ ★ ★

« رائع يا (عصام) .. لقد أنجزت عملًا رائعًا .. »

هتف (عادل) بهذه العبارة فى ظفر ، فارتسمت على شفتى (عصام) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـــ كيف ؟.. إننى لم أقم سوى بتمثيلية هزلية ، لإقناع ذلك الوغد بأننى قد أصبحت مدمنًا للهيروين .

ضحك (عادل) ، وهو يقول :

ـــ ولقد أوقعه هذا فى الفخ .

هتف (عصام) :

ـــ أى فخ ؟!.. إنه يبدو لى داهية ، شديد الحذر .

أومأ (عادل) برأسه إيجابًا ، وقال فى جدية :

ـــ إنه كذلك بالفعل .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد :

ـــ ولهذا السبب لن يضيع فرصة الإيقاع بصحفى معروف ، يحوز شهرة خطيرة فى مجال التحقيقات البوليسية ، عندما يجد أنه قد صار مدمنًا .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـــ وما الذى يمكن أن يفعله ؟

أجابه (عادل) :

ـــ المهم أن يضن انضمامك لهم ، عن طريق استغلال إدمانك للهيروين ، وبعدها سيحاول أن يجعل منك عينًا على الشرطة .

هتف (عصام) فى استنكار :

ـــ جاسوسًا .

ابتسم (عادل) ، وهو يقول :

ـــ نعم .. جاسوس .

ثم استطرد فى جدية :

ـــ إنه سيسعى لاستغلال علاقاتك الوثيقة برجال الشرطة ، ليجعل منك جاسوسًا لهم ، تنقل إليهم أخبار رجال مكافحة المخدرات ..

هتف (عصام) غاضبًا :

ـــ إنه واهم .

أجابه (عادل) فى هدوء :

ـــ بل من المحتم أن تطاوعه ، وتنقل إليه بعض أسرار إدارة مكافحة المخدرات .

أطلّ الاستنكار عنيفًا من عينى (عصام) ، فاستدرك (عادل) بسرعة :

ـــ بعد انتقائها بالطبع .

صمت (عصام) لحظة ، ثم تنهَّد ، قائلًا :

ـــ إنه ليس بالأمر الهين كما تتصوَّر .. لقد كدت أسقط رعبًا ، عندما تناولت تلك الورقة ، التى تحوى مسحوق السكر ، وتركت له الأخرى ، التى تحوى الهيروين .. لقد خشيت لحظة أن أخطئ ، وأفعل العكس ، فقد خيَّل إلىَّ أنه كان خليقًا بقتلى على الفور ، وبلا رحمة .

ضحك (عادل) ، وهو يقول :

ـــ ليس فى مكتبه .

رَانَ الصمت لحظة ، ثم غمغم (عصام) فى تردّد :

ـــ أتظن أنه سيضمنى إلى الصفوف ؟

أجابه (عادل) فى هدوء :

ـــ ليس بإمكانه اتخاذ هذا القرار وحده .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـــ كيف ؟!.. أليس الزعيم ؟

هزَّ (عادل) رأسه نفيًا فى بطء ، وقال :

ـــ لا .. إنه اليد اليمنى للزعيم .

غمغم (عصام) :

ـــ يا إلـهى !!.. من الزعيم إذن ؟

مطَّ (عادل) شفتيه فى أسف ، وقال :

ـــ إننا لم نتوصَّل إليه بعد .. للأسف .

ثم أردف فى حزم :

ـــ ولكن (هاشم) سيتجه إليه حتمًا ، ليعرض عليه الأمر .

سأله (عصام) فى حيرة :

ـــ كيف يتجه إليه ، وهو شديد الحذر كما تقول ؟

ابتسم (عادل) ، وقال :

ـــ إنه يخشى أن يكون هاتفه مراقبًا ، وكذلك منزله ؛ لذا فسيحاول أن يلتقى بالزعيم فى مكان عام ، و.....

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع رنين الهاتف ، فأسرع يلتقط سمَّاعته ، وهو يقول فى لهفة :

ـــ مكتب (ع.م) .

صمت بعض الوقت ، وهو يستمع إلى محدِّثه فى اهتمام ، ثم غمغم فى انفعال :

ـــ لاتدعه يغب عن عينيك لحظة واحدة ، مهما كان الثمن .

ثم أنهى الاتصال ، ورفع إلى (عصام) عينين متألقتين ، وهو يقول فى حماس :

ــ لقد عرفنا مكان اللقاء .

هتف (عصام) :

ــ أين ؟

أجابه فى حماس :

ــ فى فندق (شيراتون) الجزيرة .. الليلة .

هتف (عصام) :

ــ كيف عرفتم ؟

أجابه (عادل) فى انفعال :

ــ لقد حجز جناحًا بالفندق ، لليلة واحدة ، وهذا لا يعنى إلا شيئًا واحدًا .

قست نظراته ، وهو يردف فى حزم :

ــ إنه سيلتقى الليلة بالزعيم .. الزعيم المجهول ..

* * *

توقَّفت سيارة (هاشم) الفاخرة ، أمام فندق (شيراتون) الجزيرة ، وأسرع سائقها يغادر مقعده ، ويفتح بابها الخلفى لـ (هاشم) ، وهو ينحنى انحناءة مبالغة ، كادت

تضرب رأسه بالأرض ، مما أغرى خدم الفندق بأن يهرعوا نحو السيارة ، وهم يأملون فى منحة سخية من صاحبها ، نظير حمل حقائبه إلى الداخل ، إلا أن (هاشم) حطَّم أملهم هذا دفعة واحدة ، وهو يقول فى غطرسة صارمة :

ــ لا حقائب .

ثم تجاوزهم بخطوات واسعة حازمة ، واتجه نحو موظف الاستقبال بالفندق ، وقال :

ــ هناك جناح محجوز باسم (هاشم مندور) .

كان من الواضح أن الرجل يعرفه جيدًا ، فقد أسرع يقول :

ــ نعم يا (هاشم) بك .. إنه نفس الجناح المعتاد ، سيصحبك أحد الخدم ، و.....

قاطعه (هاشم) فى صرامة :

ــ لا داعى .. إننى أعرف طريقى جيِّدًا .

ثم اتجه نحو المصعد ، فأسرع خلفه ذلك الشرطى السرى ، الذى طالبه (عادل) بمراقبته ، ووقف إلى جواره هادئًا ، حتى استقلّ الاثنان المصعد ، مع عدد من رواد الفندق ، وقال (هاشم) لخادم الفندق فى هدوء :

ثم اتجه نحو المصعد ، فأسرع خلفه ذلك الشرطى السرى ..

ـــ الدور السادس من فضلك .

ضغط عامل الفندق كل الأزرار ، لينقل ركّاب المصعد إلى أدوارهم ، وتوقّف المصعد فى كل الأدوار ، وفى الدور الرابع ، وبعد أن هبط الجميع ، وبدأت الأبواب تُغلق آليًّا ، وقبل لحظة واحدة من إغلاقها ، اندفع (هاشم) خارج المصعد ، بحيث يعجز أى مخلوق عن متابعته ، حتى أن الشرطى السرى قد هتف فى أعماقه :

ـــ اللعنة !!

أما (هاشم) ، فقد غادر المصعد فى سرعة ، فى الطابق الرابع ، وأسرع يهبط فى درجات السلم ، حتى الطابق الثالث ، وهناك تلفّت حوله جيّدًا ؛ ليتأكّد من أن أحدًا لم يتبعه ، واتجه إلى إحدى حجرات الطابق ، ودفع بابها ، ودلـف إليها فى سرعة ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ، ثم ابتسم وهو يتطلّع إلى الرجل الواقف أمامه ، والذى تطلّ الصرامة من عينيه ، وقال فى ارتياح ومهابة :

ـــ مرحبًا .

لم ينبس الرجل ببنت شفة ، وبدت نظراته شديدة الصرامة ، فتلاشت ابتسامة (هاشم) ، وخفض عينيه فى احترام ، مغمغمًا :

ــ مرحبًا أيها الزعيم ..

لقد كان يقف فى حضرة ذلك الزعيم المجهول ..

زعيم أضخم شبكة تهريب مخدرات ، فى العالم العربى كله ..

* * *

٦ ــ الثعلب ..

« اختفى ؟!.. »

أطلق (عادل محمود) تلك العبارة ، بكل ماتفجَّر فى أعماقه من غضب ، وهو يستمع إلى القصة هاتفيًا ، من شرطيه السرى ، قبل أن يستطرد ساخطًا :

ــ كيف ؟!.. ألم آمرك بألا تدعه يغيب عن نظرك أبدًا ؟

أخبره الشرطى السرى بما حدث ، فقال فى حدة :

ــ ابق مكانك إذن ، ولاتغادر الفندق ، قبل أن يذهب إلى جناحه .

وأعاد سمَّاعة الهاتف فى حنق ، فسأله (عصام) فى قلق :

ــ هل هرب منهم ؟

لوَّح (عادل) بذراعه فى حدة ، وهو يقول :

ــ إنه ثعلب .

ثم استطرد فى سخط :

ـــ إنه يلتقى الآن بالزعيم حتمًا ، فى واحدة من حجرات الفندق ، ويمكننى أن آمر رجالى بمراقبة كل الطوابق ، وكل الحجرات ، ولكننى أخشى أن يفلت منا هذه المرة ، فيدرك أننا خلفه ، وتفسد عمليتنا كلها .

وأطلّ الغضب من كل خلجة من خلجاته ، وهو يردف :

ـــ ولكنه سيقع عن قريب .. سيقع حتمًا .

* * *

عقد الزعيم حاجبيه ، وهو يستمع إلى قصة (هاشم) فى اهتمام شديد ، حتى انتهى هذا الأخير من روايته ، فقال الزعيم فى قلق :

ـــ (عصام كامل) ؟!.. ألا يبدو لك الأمر أشبه بالخدعة ، خاصةً مع صحفى أسقط عشرات الرجال ، مثل (عصام) ؟

أجابه (هاشم) فى حماس :

ـــ كلّا أيها الزعيم ، فهو مدمن .

سأله فى ريبة :

ـــ أأنت واثق من هذا ؟

هتف (هاشم) :

ـــ بالتأكيد أيها الزعيم ، إننى أعرف المدمن فور رؤيته .. لقد هاجمته النوبة فى مكتبى ، وأنا لا أخطئ معرفة نوبة إدمان مطلقًا ، فهناك العرق الغزير ، والارتجاف ، وسيلان اللعاب ، و.....

قاطعه الزعيم مغمغمًا :

ـــ نعم .. هناك العرق .

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يفكّر فى عمق ، فلاذ (هاشم) بالصمت مهابةً واحترامًا ، حتى سأله الزعيم فى اهتمام :

ـــ وكيف تتصوَّر أن يفيدنا ضمّ هذا الصحفى إلى صفوفنا ؟

أجابه منفعلًا :

ـــ إنه صديق لعدد من رجال الشرطة ، بحكم عمله فى قسم الحوادث ، ويحوز شهرة رائعة فى عالم مكافحة الجريمة ، مما يجعلهم يثقون به تمامًا ، إلى الحد الذى يكفيه لمعرفة أسرارهم ، ومواعيد حملاتهم على الأقل .

عقد الزعيم حاجبيه متشكّكًا ، وهو يقول :

ـــ ولكنك تقول إنهم يعتبرون أنه لم يعد صالحًا لقسم الحوادث .

ابتسم (هاشم) فى ثقة ، وهو يقول :

ــ هذا لأن عقله قد صار مضطربًا ، لقلقه الدائم ، وبحثه الدائب عن النقود اللازمة ، لشراء الهيروين ، أما لو ضمن جرعاته بانتظام ، دون أن يدفع قرشًا واحدًا ثمنًا لها ، فسيعود إليه هدوءه ، وسيعود إلى عمله ، وسيفعل كل ما نأمره به ، لأنه سيخشى كثيرًا أن يفقد مصدر المخدِّر ، تمامًا ككل المدمنين ، الذين يفعلون أى شىء فى الوجود ، مقابل جرعة واحدة .

قال الزعيم :

ــ فكرة معقولة .

ثم استدرك فى صرامة :

ــ لو أن هذا الصحفى لايخدعنا .

هزَّ (هاشم) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ لقد أرسلت رجالى يتحرّون فى مكتبه ومسكنه ، ولقد أجمع الكل فى الجهتين ، على أنه تبدَّل تمامًا ، منذ شهر كامل ، بحيث صار شاحبًا ، كثير السهر ، دائم النسيان ، حتى أنه يخشى أن يستقلّ سيارته .

غمغم الزعيم :

ــ معقول ..

ثم التفت إلى (هاشم) ، مستطردًا فى لهجة حازمة :

ــ ولكن هذا لايكفى لقبوله فى صفوفنا .. إنه يحتاج إلى اختبار قوى حاسم .

سأله (هاشم) فى اهتمام :

ــ كيف ؟

أجابه فى لهجة غامضة :

ــ سأخبرك أنا كيف .. المهم أن تنفِّذ ما أخبرك به حرفيًا ، وبعدها ستتضح لنا نوايا ذلك الصحفى ، فإما أن يعمل لحسابنا ، أو.....

ارتجف صوته بشراسة مفاجئة مخيفة ، وهو يردف :

ــ أو يموت ..

* * *

كان الشرطى السرى يشعر بالخزى والعار ، بعد أن فقد أثر (هاشم) تمامًا ، وراح يهبط بمصعد الفندق فى حنق ، عندما توقَّف المصعد فى الطابق الثالث ، وانفتحت أبوابه آليًا ..

وفجأة دقَّ قلب الشرطى السرى فى عنف ..

لقد توقَّف المصعد لـ (هاشم) ، الذى دلف إليه ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ مساء الخير .

وبسرعة أدرك عقل الشرطى السرى الأمر ، فأجاب فى لهفة :

ـــ مساء الخير .. سأغادر المصعد هنا .

وفى خطوة واحدة ، كان خارج المصعد ، وتركه يهبط بـ (هاشم) ، ثم وقف يتلفَّت حوله فى لهفة .

لقد كان (هاشم) هنا إذن ..

لقد التقى بالزعيم المجهول فى إحدى حجرات الطابق الثالث .

لم يكد هذا الخاطر يجول بذهنه ، حتى اندفع نحو السلم ، ليستعلم من مكتب الاستقبال عن المقيمين بالطابق ، وما إن هبط عدة درجات ، حتى راوده خاطر بأن الزعيم قد يغادر الحجرة الآن ، لو أنه لم يغادرها قبل (هاشم) ، فعاد أدراجه بحركة مباغتة ، و.....

واصطدم فجأة برجل متين البنيان ، صاح به غاضبًا :

ـــ انتبه يا رجل .

غمغم الشرطى معتذرًا :

ـــ معذرة .. لقد .

ثم بتر عبارته ، ليهتف بغتة :

ـــ قل لى .. من أين أتيت ؟

حدَّق الرجل فى وجهه بدهشة ، وهو يقول :

ـــ وما شأنك أنت ؟

كاد الشرطى يخبره بطبيعة مهمته ، إلا أنه قاوم ذلك ، وهو يقول :

ـــ إنه مجرَّد سؤال .. لقد أردت أن أسألك عن شخص ما فحسب .

بدا الشك على وجه الرجل ، وهو يقول :

ـــ لقد هبطت من الطابق السادس .

سأله الشرطى فى دهشة :

ـــ ولماذا لم تستقل المهبط ؟

أجابه الرجل فى حدة :

ـــ لأنه من الضرورى أن أمرّ بكل طوابق الفندق فى أثناء هبوطى ، وقبل أن تلقى سؤالًا آخر ، ينبغى أن تعلم أننى أفعل ذلك ؛ لأن هذا عملى ، فأنا مسئول الأمن بالفندق .

كانت مفاجأة للشرطى ، الذى هتف :

ـــ يا إلهى !.. نحن زميلان إذن .. أنا أيضًا شرطى .

ثم مال نحوه ، يسأله فى اهتمام :

ــ قل لى .. هل غادر أحد الطابق الثالث ؟

أجابه الرجل فى حزم :

ــ لم يغادره سواك .

سأله الشرطى فى لهفة :

ــ من يقيم به الآن ؟

عقد مسئول الأمن حاجبيه ، وقال بعد وهلة من التفكير :

ــ إن معظم حجراته خالية الآن ، فلسنا فى موسم سياحى كما تعلم ، ولكن يقيم به عدد من الأجانب ، وملحن مصرى معروف ، هو الأستاذ (بديع فتحى) ، والملياردير الشهير (حامد منصور) ، الذى يقيم هنا بصفة دائمة .

تألّقت عينا الشرطى ، وهو يقول فى لهفة :

ــ ملياردير ؟!

ثم صافح مسئول الأمن فى حرارة ، هاتفًا :

ــ شكرًا يا رجل .. شكرًا جزيلًا .. ولكن قل لى .. ما اسمك ؟. لقد أنسانى الموقف أن أسألك إياه .

أجابه مسئول الأمن فى حيرة :

ــ اسمى (فؤاد) .. (فؤاد رشدى) .

عاد الشرطى يصافحه فى حرارة ، هاتفًا :

ــ شكرًا يا (فؤاد) .. شكرًا أيها الزميل .

ثم أسرع يهبط فى درجات السلم قفزًا ، واندفع نحو أوّل هاتف قابله ، وطلب رقم الإدارة ، ولم يكد يسمع صوت (عادل محمود) ، حتى هتف فى ظفر :

ــ سيّدى .. لقد عرفته .. عرفت اسم الزعيم المجهول ..

* * *

ثم أسرع يهبط فى درجات السلم قفزًا ، واندفع نحو أوّل هاتف قابله ، وطلب رقم الإدارة ..

٧ ــ الاختبار ..

اتسعت عينا (عصام) فى ذهول ، عندما استمع إلى اسم الزعيم المجهول ، من بين شفتى (عادل) ، ثم لم يلبث أن هتف فى استنكار عنيف :

ــ مستحيل يا (عادل) !! مستحيل !!.

أجابه (عادل) فى هدوء :

ــ لايوجد مستحيل ، فى عالم تجارة المخدرات يا (عصام) ، فلو أن زعماء تلك المنظمات يمكن الشك فيهم ، ما ظلوا دومًا مجهولين ، محاطين بقدر هائل من الغموض هكذا .

هتف (عصام) فى ذهول :

ــ ولكننى أعرف هذا الرجل .. أعرفه جيّدًا .

ابتسم (عادل) ، قائلًا فى تهكم :

ــ منذ متى تصادق الملياردیرات ياعزيزى (عصام) ؟

قال (عصام) فى عناد :

ــ إنه لم يولد مليارديرًا ، فهو رجل عصامى ، نشأ من الصغر ، ولقد كان صديقًا لأبى ــ رحمه الله ــ ولم تنته صداقتهما أبدًا ، حتى بعد وفاة أبى ، فلم يزل يتصل بى دوريًا ، ويسألنى عما أحتاج إليه ، و.....

قاطعه (عادل) فى هدوء :

ــ أتجد ذلك دليلًا على براءته ؟

شحب وجه (عصام) ، وهو يغمغم فى مرارة :

ــ كلَّا .

رَانَ عليهما صمت مهيب ، إلى أن وضع (عادل) راحته على كتف (عصام) ، وقال فى إشفاق ، يحمل رنة صارمة :

ــ اسمع يا (عصام) .. هناك درس ينبغى لك أن تتعلّمه ، وأن تستوعبه جيِّدًا ، ما دمت قد قرَّرت أن تلقى بثقلك كله ، فى مضمار مكافحة الجريمة ، ألا وهو ألا تسمح لعواطفك أبدًا بالتدخّل فى عملك .

غمغم (عصام) فى حزن :

ــ كيف ؟!. إننى أكافح الجريمة ؛ لأن عواطفى تدفعنى إلى ذلك .. كراهيتى للجريمة والمجرمين تجعلنى أخاطر بحياتى للقضاء عليهم .

ربَّت (عادل) على كتفه ، وقال :

ــ أقصد ألا تسمح لمشاعرك الشخصية بالتدخل فى العمل ، وإلا فقدت صفة الحيادية والعدالة .

غمغم (عصام) فى مرارة :

ــ ولكن هذ الرجل .

قاطعه (عادل) فى صرامة :

ــ إنه زعيم أكبر منظمة لترويج المخدرات فى العالم العربى .

هتف معترضًا :

ــ هذا لم يثبت بعد .

قال (عادل) فى حدة :

ــ وماذا لو ثبت ؟

امتقع وجه (عصام) ، ولبث صامتًا لحظات ، ثم أجاب فى مرارة :

ــ لست أدرى .

واعتصر الحزن قلبه فى عنف ، وهو يردف :

ــ حقيقةً لست أدرى .

وشرد ببصره لحظة ، ثم استطرد :

ــ المهم أن تنجح الخطة .. هذا هو هدفنا الوحيد ..

* * *

استرخى الملياردير (حامد منصور) فى شرفة جناحه الفاخر ، بفندق (شيراتون) الجزيرة ، وراح يتطلّع إلى نهر النيل فى تراخ ، حتى سمع صوت طرقات هادئة ، على باب الجناح ، فقال فى تكاسل :

ـــ ادخل .

فُتِحَ الباب ، ودلف منه (فؤاد رشدى) ، مسئول الأمن بالفندق ، واتجه نحو الشرفة فى خطوات هادئة ، ووقف خلف (حامد) تمامًا ، وهو يقول :

ـــ مساء الخير يا (حامد) بك .. هل تطلب شيئًا قبل انصرافى ؟

سأله (حامد) فى تراخ :

ـــ هل انتهت نوبتك ؟

أجابه (فؤاد) فى هدوء :

ـــ نعم .. سأقضى هذه الليلة فى منزلى .

لوَّح (حامد) بكفه ، وهو يقول :

ـــ اذهب إذن يا (فؤاد) .. صحبتك السلامة .

أحنى (فؤاد) رأسه ، وهو يقول :

ـــ شكرًا يا (حامد) بك .

واستدار لينصرف ، ثم بدا وكأنه قد تذكَّر شيئًا ، فعاد يقول :

ـــ آه .. بالمناسبة يا (حامد) بك .. لقد كان هناك شرطى سرى يراقب هذا الطابق ، ولقد سألنى عنك باهتمام بالغ .

اعتدل (حامد) فجأة ، وسأله فى دهشة :

ـــ شرطى سرى ؟!

أومأ (فؤاد) برأسه إيجابًا ، فشحب وجه (حامد) ، وغمغم فى توتر بالغ :

ـــ وماذا يريد منى شرطى سرى ؟

هزَّ (فؤاد) كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ لست أدرى .. ربّما هى مجرَّد تحريات عادية .

عقد (حامد) حاجبيه فى قوة ، وهو يغمغم :

ـــ نعم .. ربّما .

ثم عاد يلوِّح بكفه ، مستطردًا فى عصبية واضحة :

ـــ حسنًا يا (فؤاد) ، شكرًا لإبلاغك إياى .. يمكنك الانصراف .

عاد (فؤاد) يحنى رأسه ، مغمغمًا :

ـــ شكرًا يا (حامد) بك .

وانصرف بخطوات هادئة رصينة ، على حين بقى (حامد) صامتًا ساكنًا لحظات ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة ، ثم التقط سمَّاعة الهاتف ، وهو يقول فى توتر :

ـــ هذا الأمر غير طبيعى .. غير طبيعى على الإطلاق ..
وكان على حق ..

★ ★ ★

استيقظ (هاشم مروان) من نومه ، بعد منتصف الليل بعدة دقائق ، على رنين هاتفه ، المجاور لفراشه ، فأسرع يلتقط سمّاعته ، ويقول فى توتر بالغ :

ـــ هنا (هاشم مندور) .. من المتحدّث ؟

أتاه صوت زعيمه صارمًا قاسيًا ، وهو يقول :

ـــ إنه أنا يا (هاشم) .

اختفت الكلمات فى حلق (هاشم) ، من فرط المفاجأة ، التى ألجمت لسانه ، فلم يفه بحرف واحد ، ولقد بدا له وكان الزعيم لم يكن ينتظر هذا الحرف أو يحتاج إليه ، وهو يقول فى حزم واقتضاب :

ـــ غدًا فى نفس الموعد والمكان .

وقبل أن ينطق (هاشم) بحرف واحد ، كان الزعيم قد أنهى المحادثة ، وعاد الهاتف يصدر ذلك الصوت الرتيب المألوف ، الذى يصاحب رفع السمّاعة من جانب واحد ، فتصلّب (هاشم) لحظات ، وراح قلبه يدق فى عنف ، قبل أن يضع

السمّاعة فى بطء ، ويلتقط من فوق منضدة صغيرة ، مجاورة لفراشه ، علبة سجائر ، ويلتقط منها سيجارة ، يدسّها بين شفتيه ، ويشعلها فى آلية ..

كانت أوّل مرة يطلب فيها الزعيم مقابلته ، فى يومين متتاليين ..

وأوّل مرة يتصل به هاتفيًا ..

ولقد أقلقه هذا كثيرًا ..

كثيرًا جدًا ..

وهو لم ينم لحظة واحدة ، حتى أشرقت الشمس ..

وكم تمنى لو أنه يتجاهل الذهاب إلى شركته هذا الصباح ، ولكنه كان مضطرًا للذهاب ، فقد كان ينتظر قدوم (عصام) ..

ولديه أوامر ببدء الخطة اليوم ، بلا إبطاء أو تأخير ..

وأوامره تقتضى إما بقبول (عصام) بين الصفوف ، لو أثبتت الخطة صدقه ، أو قتله ، لو أثبتت العكس ..

★ ★ ★

كان لقاءً بين رجلين منهكين ..

أحدهما أنهكه السهر ، والثانى أنهكه التفكير فى شخصية الزعيم المجهول ..

ولكن كليهما كان يتسم ..

وبابتسامة عريضة ، استقبل (هاشم) (عصام) ، وصافحه قائلًا :

ـــ صباح الخير يا أستاذ (عصام) .. كيف حالك اليوم ؟

ابتسم (عصام) ابتسامة باهتة ، وهو يغمغم :

ـــ كيف حالك أنت يا سيِّد (هاشم) ؟

أجابه (هاشم) فى هدوء :

ـــ إننى لم أنم جيِّدًا أمس ، ولكننى فى حال جيِّدة على الأقل .

ارتجفت الكلمات على شفتى (عصام) ، وهو يقول :

ـــ هل .. هل وجدت لى ذلك العمل يا سيِّدى ؟

مطَّ (هاشم) شفتيه ، وهو يقول :

ـــ على نحو ما .

سأله (عصام) فى لهفة واضحة :

ـــ على أى نحو ؟

ابتسم (هاشم) فى غموض ، وهو يقول :

ـــ هذا يتوقَّف عليك .

هتف (عصام) فى لهجة ضارعة :

ـــ إننى مستعد لعمل أى شىء .. مقابل .. مقابل ..

التقط (هاشم) من درج مكتبه وريقة صغيرة ، أشبه بتذكرة قطار ، وألقاها أمام (عصام) ، قائلًا فى سخرية :

ـــ مقابل هذا .

اختطف (عصام) الوريقة فى لهفة ، وأسرع يفضّها ، وتذوَّق المسحوق الأبيض داخلها بطرف لسانه ، وهتف فى شراهة :

ـــ يا إلٰهى يا سيِّد (هاشم) !!.. إنه صنف نقى ممتاز .

أجابه (هاشم) فى ازدراء :

ـــ ستحصل على مثلها كل يوم .

رفع (عصام) عينيه إليه فى لهفة ، وهو يهتف فى امتنان :

ـــ آه .. سيِّد (هاشم) .. كيف يمكننى أن أشكرك ؟

هتف (هاشم) فى سخرية :

ـــ تشكرنى ؟!.. إنها ليست هبة يا فتى .. إنها ثمن العمل ، الذى سأطلبه منك ، وجزء من راتب الوظيفة الجديدة ، التى حدَّثتك عنها .

هتف (عصام) فى انفعال ، وهو يضمّ الورقة إلى صدره فى لهفة :

ـــ إننى لأفعل أى شىء مقابل هذا الشىء يا سيِّد (هاشم) .

مال (هاشم) نحوه ، وهو يقول بخبث :

ـــ أى شيء ؟!

هتف (عصام) فى لهفة :

ـــ أى شيء ياسيِّد (هاشم) .. أى شيء .

اعتدل (هاشم) ، وهو يقول :

ـــ رائع .

واستند بذقنه إلى قبضته المضمومة ، وراح يتطلّع إلى (عصام) لحظات فى صمت ، ثم قال :

ـــ اسمع يا (عصام) .. هل تعلم ماهو عملى بالضبط ؟

أجابه (عصام) بابتسامة باهتة :

ـــ أنت صاحب واحدة من أكبر الشركات العقارية فى (مصر) .

غمغم (هاشم) ، وهو يتأمّله فى اهتمام :

ـــ فقط ؟

قال (عصام) فى حيرة :

ـــ أتمتهن مهنة أخرى ياسيِّد (هاشم) ؟!

ظلّ (هاشم) يتأمّله لحظات فى إمعان ، ثم قال :

ـــ قل لى يا (عصام) .. ألك علاقة جيِّدة بضباط إدارة مكافحة المخدرات ؟

بدت الدهشة على وجه (عصام) ، وهو يقول :

ـــ ماالذى يعنيه هذا السؤال ياسيِّد (هاشم) ؟.. هل .. هل ..؟

قال (هاشم) فى هدوء :

ـــ هل ماذا ؟!

تردَّد (عصام) لحظات ، ثم خفض صوته ، وهو يقول :

ـــ أتعمل فى تجارة المخدرات ياسيِّد (هاشم) ؟

تراجع (هاشم) فى دهشة وحِدَّةٍ ، على حين ارتبك (عصام) ، وقال وهو يشير إلى رأسه :

ـــ معذرة ياسيِّد (هاشم) ، فهذا الشيء اللعين فوق عنقى ، يرفض التوقّف عن التفكير .

صمت (هاشم) لحظة فى حيرة ، وهو يتأمّل (عصام) ، ثم عاد يميل نحوه ، قائلًا :

ـــ لو أننى كذلك بالفعل ، فهل يصنع ذلك فارقًا كبيرًا معك .. أعنى فى موقفك ؟

صمت (عصام) لحظة ، ثم مطَّ شفتيه ، ولوَّح بكفه ، قائلًا :

ـــ كلَّا .

تراجع (هـاشم) ، وارتسمت على شفتيـه ابتسامـة عريضة ، وهو يقول :

ــ عظيم .

ثم تشاغل بإشعال سيجارته ، وهو يستطرد فى هدوء :

ــ إننى رجل أكره الرسميات يا (عصام) .. كل أنواع الرسميات ، حتى رجال الشرطة ، ودسهم لأنوفهم فى شتى الأمور .. ولهذا فأنا أريد منك أن تخبرنى بتحركات رجال مكتب مكافحة المخدرات أوَّلًا فأوَّلًا .

هزَّ (عصام) رأسه ، وقال :

ــ ولكن هذا أمر عسير ، فلديهم عشرات الفرق ، ولكل فرقة خط سير محدود ، و.....

قاطعه (هاشم) فى حزم :

ــ هناك مكان واحد يغنينى .

سأله (عصام) فى هدوء :

ــ ماهو ؟

مال نحوه ، وقال فى عمق :

ــ الشاطئ الغربى لجزيرة (شدوان) .. غدًا فى التاسعة مساءً .

غمغم (عصام) فى اهتمام :

ــ أتريد منى أن أعلم ، إذا كانوا سيعدون حملة إلى هذا المكان ، فى تلك الساعة ، أم لا ؟

اعتدل (هاشم) ، وابتسم ابتسامة واسعة ، وهو يقول :

ــ بالضبط .

أومأ (عصام) برأسه موافقًا ، وهو يقول :

ــ هذا أمر بسيط .

ثم نهض من مقعده ، وقال فى حماس :

ــ سأذهب إليهم على الفور .

شبَّك (هاشم) أصابع كفيه أمام وجهه ، وابتسم وهو يقول :

ــ عظيم .

توقَّف (عصام) ، وتردَّد لحظة ، قبل أن يسأله :

ــ وماذا عن المكافأة ؟

عقد (هاشم) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ أية مكافأة ؟!

ارتبك (عصام) ، وهو يغمغم :

والتفت خلفه فى حركة حادة ، ثم اتسعت عيناه فى ذعر ، عندما وقعتا على وجه (صفوان) ..

ــ ألم تعدنى بمكافأة سخية ، إلى جوار تذكرة الهيروين اليومية ، و.....

قاطعه (هاشم) بضحكة عالية ، وهو يقول :

ــ رائع .. إننى أحب التعامل مع من هم على شاكلتك .. ستحصل بالطبع على مكافأة جيِّدة .. المهم أن يـروق لى العمل .

قال هذا ، وأدار عينيه إلى الباب ، خلف ظهر (عصام) ، وقال :

ــ ادخل يا (صفوان) ، ولكن كان ينبغى أن تطـرق الباب أوَّلا .

تجمَّدت الدماء فى عروق (عصام) ، لدى سماعه هـذا الاسم ، والتفت خلفه فى حركة حادة ، ثم اتسعت عيناه فى ذعر ، عندما وقعتا على وجه (صفوان) ..

وجه سفاح جزيرة (شدوان) ..

★ ★ ★

٨ ــ الشــك ..

كانت مفاجأة غير متوقّعة ، لـ (عصام) ..

مفاجأة مخيفة ..

لقد أعاد إليه وجه (صفوان) ذكرى مذبحة الجزيرة ..

تذكّر مركب الصيد وهو يقترب ..

ورجال الشرطة يهاجمونه ..

والانفجار ..

تذكّر بركة الدماء ، وشظايا المركب ، وأشلاء الضحايا ..

والرصاص المنهمر كالمطر ..

وإصاباته ..

تذكّـر مصرع الجميـع ، فيمـا عـداه ، فى مـذبحة (شدوان) ..

ثم توقّف المشهد عند وجه (صفوان) الغليظ ، القاسى الملامح ، وهو يتجه نحو جثث ضحاياه مختالًا كالطاووس ، حاملًا مدفعه الآلى ، مزهوًا بجريمته النكراء ..

وفجأة انتفض جسده ، عندما سمع (صفوان) يقول فى خشونة :

ــ مرحبًا .. هل التقينا من قبل ؟

شعر (عصام) فجأة برعب هائل يملأ جسده ..

واحتبست الكلمات فى حلقه ..

كيف لا يذكر ذلك السفاح أين التقيا ؟..

كيف لا يذكر ضحيته ؟..

يبدو أن هذه هى سنة الحياة ..

القاتل ينسى وجوه ضحاياه ، ولكنهم يحفرون وجهه فى أرواحهم ، حتى بعد موتهم ..

وقبل أن يجيب ، ارتفع صوت (هاشم) يقول :

ــ لا ريب أنك تعرفه يا (صفوان) ، فالأستاذ (عصام) صحفى معروف .

عقد (صفوان) حاجبيه الكثين ، والتمع رأسه الأصلع تحت أنوار الحجرة ، وهو يتطلّع إلى وجه (عصام) ، على نحو امتقع له وجه هذا الأخير ، قبل أن يغمغم :

ــ صحفى ؟!

أجابه (هاشم) مبتسمًا :

ــ نعم .. صحفى فى قسم الحوادث .

قال (صفوان) فى خشونة ، وهو لا يبعد عينيه عن وجه (عصام) :

ـــ إننى لا أطالع الصحف ، ولكننى واثق من أننى قد رأيته من قبل .

استجمع (عصام) شجاعته ، وقال فى صوت متحشرج :

ـــ أنا أيضًا أظن أننا قد التقينا من قبل ، ولكننى لست أذكر متى وأين ؟!

ثم التفت إلى (هاشم) ، وقال :

ـــ سأذهب على الفور ياسيِّد (هاشم) .

وغادر المكان فى خطوات سريعة ، و(صفوان) يتابعه ببصره فى حيرة ، قبل أن يلتفت إلى (هاشم) ، قائلًا فى حزم :

ـــ لقد التقيت به من قبل .

لوَّح (هاشم) بكفه ، وهو يقول :

ـــ دعك من هذا ، واسمعنى جيِّدًا ، أريد أن تذهب إلى (شدوان) غدًا صباحًا ، فى مركب الصيد الخاص بك ، وفى ثياب صياد عجوز كالمعتاد .

سأله (صفوان) فى اهتمام :

ـــ أهناك عملية خاصة غدًا ؟

هزَّ (هاشم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ كلَّا .

ثم ابتسم مستطردًا :

ـــ هناك لعبة .

انعقد حاجبا (صفوان) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ـــ لعبة ؟!

أجابه (هاشم) :

ـــ نعم .. لعبة ستحتاج منك إلى مراقبة جيِّدة ، فإما أن تؤدى فى نهايتها إلى أن تعمل مع ذلك الصحفى جنبًا إلى جنب ، أو.....

اتسعت ابتسامته ، وبدا جذِلًا ، أقرب إلى من يلقى بدعابة مرحة ، وهو يستطرد :

ـــ أو تقتله بيديك ..

* * *

بدا الضيق على وجه (عادل محمود) ، وهو يقول لـ (عصام) فى مكتبه :

ـــ هل أصابك هذا الأصلع الوغد بعقده نفسية ؟

تنهَّد (عصام) فى توتر ، وهو يقول :

ـــ لست أدرى .. إننى لم أكد أراه ، حتى انتابنى نفس ذلك الرعب ، الذى أصابنى فى الجزيرة ، عندما لقى الجميع مصرعهم .

قال (عادل) فى صرامة :

ـــ ينبغى أن تتغلَّب على ذلك الشعور ، فقد تحتم الظروف أن تقف فى وجه ذلك الوغد يومًا .

ابتسم فى شحوب ، وهو يغمغم :

ـــ أظننى سأصاب برعب هائل حينذاك .

صاح (عادل) فى غضب :

ـــ خطأ .

لوَّح (عصام) بكفه ، قائلًا :

ـــ حسنًا حسنًا .. فلندع ذلك لحينه .

ثم مال نحوه ، مردفًا فى اهتمام :

ـــ والآن قل لى ، ما معنى أن يبلغنى (هاشم) بموعد عملية تهريب مخدرات ، قبل أن يتأكَّد منى تمامًا ؟

تطلَّع (عادل) عبر نافذة حجرته ، وهو يقول :

ـــ معناه أنه موعد وهمى .. مجرَّد اختبار ثقة ، للتأكَّد من أنك لن تبلغ الشرطة عنهم .

هتف (عصام) :

ـــ يالهم من ثعالب !!.

وافقه (عادل) بإيماءة من رأسه ، وقال :

ـــ إنهم ليسوا أغبياء بالتأكيد .

عاد (عصام) يسأله فى اهتمام :

ـــ ولكن لماذا تدور كل أفكارهم حول جزيرة (شدوان) ؟

عقد (عادل) حاجبيه ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول فى جدية بالغة ، تشفّ عن حيرته :

ـــ ليس هذا هو السؤال الغامض الوحيد يا (عصام) ، فهناك عدة أسئلة تثير حيرتى فى شدة ، فلقد أحكمنا الحصار على حدودنا ، وبذلنا أقصى جهدنا ؛ لمنع دخول تلك السموم البيضاء إلى (مصر) ، ولكنها ـــ على الرغم من ذلك ـــ تدخل إلى البلاد بكميات هائلة ، دون أن ندرى من أين ، ولا كيف تأتى .

قال (عصام) فى حيرة :

ـــ ربَما يتم تصنيعها هنا .

لوَّح (عادل) بذراعه ، هاتفًا :

ـــ مستحيل .. لقد فحصنا كل الأراضى المنزرعة ، سواء فى الوديان أو السهول ، أو حتى الجبال ، ودمّرنا كل قيراط تم زرعه بالخشخاش ، الذى يستخدم فى صنع المخدرات .

غمغم (عصام) فى تساؤل :

ــ كيف تبرِّر مايحدث إذن ؟

تنهَّد (عادل) فى عمق ، قائلًا :

ــ لست أدرى يا (عصام) .. لست أدرى .

وزفر فى عمق مرة أخرى ، وشرد ببصره ، مغمغمًا :

ــ حقيقةً لست أدرى ..

* * *

توقَّفت سيارة (هاشم) مرة أخرى ، أمام فندق (شيراتون) الجزيرة ، وأسرع سائقه يفتح باب السيارة الخلفى ، وهو ينحنى تلك الانحناءة ، التى تجعله أشبه بالرقم (ثمانية) ، إلا أن أحدًا من خدم الفندق لم يتحرَّك قيد أنملة ، وقد استوعبوا درس الأمس ، فتركوا (هاشم) يدلف إلى الفندق وحده ..

وفى هذه المرة كانت استحكامات الأمن جيِّدة ، فقد تنكَّر أحد رجال الشرطة فى زى خدم الفندق ، ووقف فى الطابق الثالث ، على حين وقف آخر فى بهو الفندق ، يراقبان (هاشم) فى اهتمام ، وهو ينتظر المصعد ..

أما مسئول الأمن بالفندق ، فقد اتجه نحو المصعد فى هدوء ، وقال لـ (هاشم) فى بساطة :

ــ كيف حالك يا (هاشم) بك ؟.. كم يسعدنا أن شرّفتنا بالإقامة فى فندقنا ، ليومين متتاليين .

ابتسم (هاشم) ، وهو يقول :

ــ أهو أمر نادر إلى هذا الحد يا (فؤاد) ؟

ابتسم (فؤاد) بدوره ، قائلًا :

ــ بالتأكيد ، فهذا لم يحدث من قبل أبدًا .

استقلَّ الاثنان المصعد ، وسط عدد من النزلاء الآخرين ، ولم ينس (فؤاد) أن يشير لرجل الشرطة السرى بمراقبة المدخل سرًا ، قبل أن يُغلق باب المصعد ..

وعندما بلغ المصعد الطابق الثالث ، تحفَّز رجل الشرطة ، الذى ينتحل صفة الخادم ، و.....

ولكن (هاشم) لم يغادر المصعد فى الطابق الثالث ..

لقد واصل صعوده فى هدوء ، حتى الطابق السادس ، حيث جناحه الخاص ، وشكر عامل المصعد بابتسامة هادئة ، بخلاف عادته ، ثم اتجه إلى جناحه فى بساطة ..

وأصيب الجميع بدهشة عارمة ..

لقد التقطوا مكالمة الزعيم لـ (هاشم) ، بواسطة أجهزة المراقبة الهاتفية ، وعلموا أنه يأمره بالإلتقاء به ، فى نفس الموعد والمكان ، ولكن شيئًا من هذا لم يحدث ..

كان من الواضح أن (هاشم) يعلم أنه مراقب ..

ولكن كيف ؟..

كيف علم ؟..

لقد بدا (فؤاد) ، مسئول الأمن ، متفجّرًا بالغضب ، وهو يقول لأحد الشرطيين السريين فى حدة :

ــ ماذا حدث بالضبط ؟.. كيف فشلت خطة المراقبة ؟

غمغم الشرطى فى ارتباك :

ــ لست أعلم .. لقد كان كل شىء يسير على مايرام .

عقد (فؤاد) حاجبيه ، وقال :

ــ إلا إذا ..

أثارت عبارته انتباه الشرطى السرى فى شدة ، فقال فى اهتمام :

ــ إلا إذا ماذا ؟

غمغم (فؤاد) فى توتر :

ــ إلا إذا كانت تلك العبارة شفرية .

هتف الشرطى فى دهشة :

ــ ماذا ؟!.. ولكنه جاء فى موعده .

قال (فؤاد) فى انفعال :

ــ ربّما كان الموعد صحيحًا ، ولكن الأسلوب يختلف .

ثم التفت إلى الشرطى ، قائلًا :

ــ قل لى ، هل تراقبون جناح (هاشم) ؟

أجابه الشرطى :

ــ بالطبع ، فزميلى يقف فى الممر الخاص به ، ولن يغادره قبل أن يغادر (هاشم) الفندق كله .

مطّ (فؤاد) شفتيه ، وقال :

ــ هذا لايكفى .

ثم استطرد فى حزم :

ــ الجناح المجاور لجناح (هاشم) خالٍ ، سأبقى داخله ، وأراقبه طيلة الوقت ، وعليك أنت بمراقبة مدخل الفندق .

أجابه الشرطى فى حماس :

ــ سأفعل .

وبدأت عملية مراقبة دقيقة ، تمهيدًا للإيقاع بالزعيم .. زعيم الثعالب ..

★ ★ ★

كانت عقارب الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بقليل ، عندما فوجئ (هاشم) بالزعيم يدلف إلى حجرته ، فهبّ من فراشه ، وهتف فى احترام :

ــ مساء الخير أيها الزعيم .. إننى لم أتوقّع أن ..

قاطعه الزعيم فى صرامة :

ــ لماذا يراقبونك يا (هاشم) ؟

شحب وجه (هاشم) ، وامتقع فى رعب ، وهو يغمغم مرتبكًا :

ــ لست أدرى أيها الزعيم .. صدقنى لست أدرى .. ربّما كانت لديهم بعض الشكوك ، ولكن أؤكّد لك أنهم لا يملكون دليلًا واحدًا ضدى ، و.....

قاطعه الزعيم فى صرامة مخيفة :

ــ لا فارق يا (هاشم) .

بدا وجه (هاشم) شاحبًا كالموتى ، وهو يغمغم :

ــ ماذا تعنى أيها الزعيم ؟

تراجع فى هلع ، عندما رفع الزعيم فوهة مسدسه فى وجهه ، وهو يقول فى برود :

ــ أعنى أنك قد صرت ورقة محترقة يا (هاشم) .. ورقة قد تجلب الخسارة ، ولكنها لا تساعد أبدًا على الربح .

لوَّح (هاشم) بذراعه فى رعب ، وهو يهتف :

ــ كلّا أيها الزعيم .. أرجوك .. إننى لست ..

ولكن فوهة مسدس الزعيم ، المزوَّدة بكاتم للصوت ، أطلقت رصاصة واحدة صامتة ، بدت أشبه بالفحيح ، جحظت بعدها عينا (هاشم) ، ولوَّح بذراعه فى ذعر ، ثم سقط جثة هامدة ..

* * *

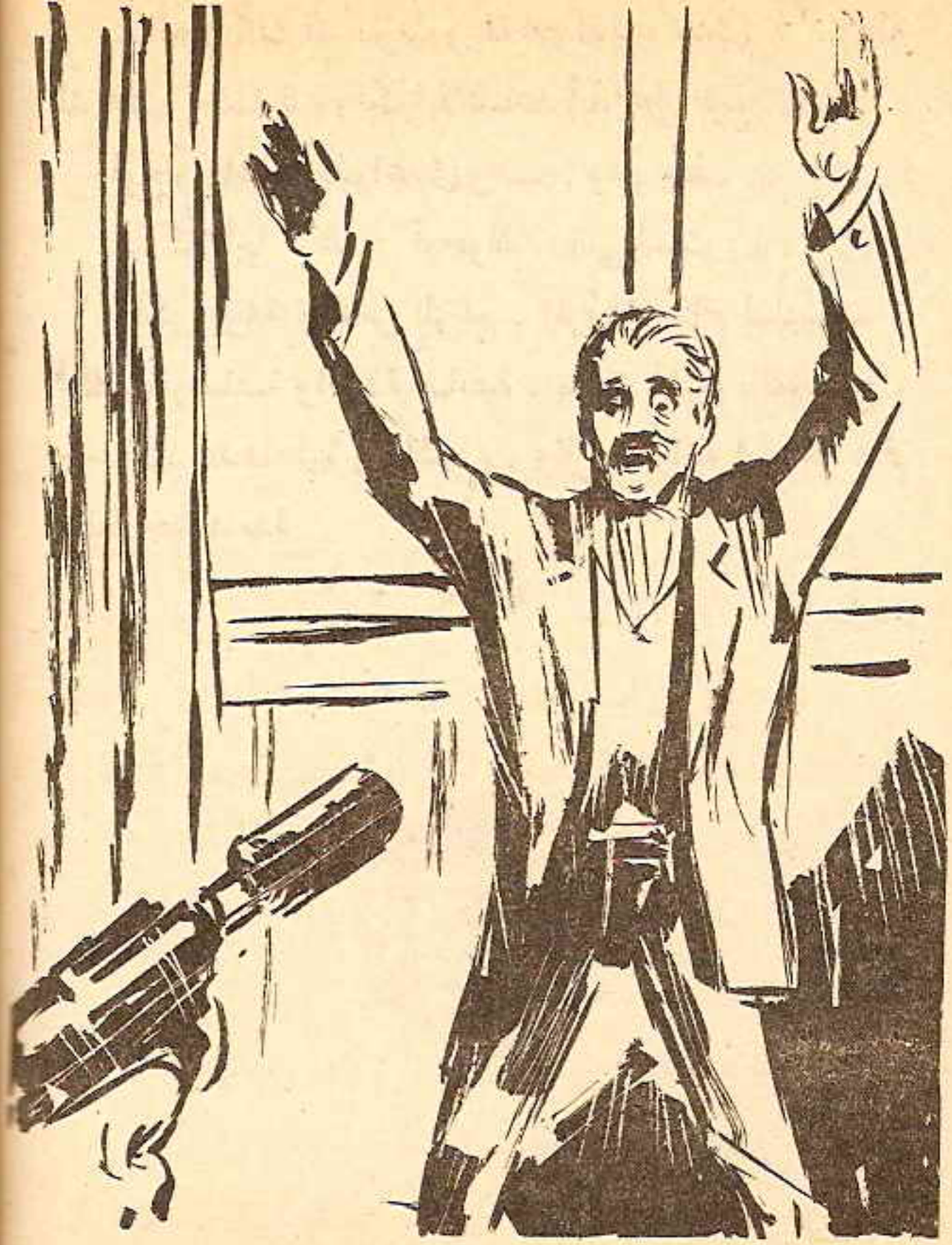

لوَّح (هاشم) بذراعه فى رعب ، وهو يهتف ..
ــ كلَّا أيها الزعيم .. أرجوك ..

٩ ــ المفاجأة ..

« قُتِلَ ؟!.. »

هتف (عادل) بالكلمة فى ذعر ، واحتقن وجهه فى ألم ، وهو يستطرد :

ــ يا إلٰهى !.. كيف حدث هذا ؟

راح يستمع إلى محدِّثه ، عبر أسلاك الهاتف ، ثم غمغم فى غضب :

ــ سأحضر على الفور .

سأله (عصام) ، الذى صار نادرًا مايغادر مكتبه :

ــ ماذا حدث ؟

التفت إليه (عادل) ، وهو يقول فى غضب :

ــ لقد قُتِلَ (هاشم مندور) منذ ربع ساعة .

هتف (عصام) فى ذهول :

ــ قُتِلَ ؟!.. مستحيل !!.. من فعل به ذلك ؟

لوَّح (عادل) بذراعه ، وقال فى حدة :

ـــ لقد ألقوا القبض على (حامد منصور) ، وهو يغادر جناح (هاشم) شاحبًا مرتاعًا ، ولكنه يؤكّد أنه قد وجد (هاشم) قتيلًا ، عندما دخل جناحه .

هبّ (عصام) من مقعده ، وقال فى انفعال :

ـــ هيا نذهب إلى هناك .. لن أترك (حامد) فى هذا الموقف أبدًا ..

صاح به (عادل) فى صرامة :

ـــ إنك لن تذهب إلى هناك أبدًا .

هتف (عصام) فى حنق :

ـــ مستحيل !.. لقد ساعدنى هذا الرجل كثيرًا ، ولن .....

قاطعه (عادل) فى حزم :

ـــ قلت لك لن تذهب .

هتف (عصام) فى غضب :

ـــ اسمع يا سيادة العقيد ..

صرخ به (عادل) فى غضب :

ـــ اسمع أنت يا (عصام) إننا لانلهو ، ومانفعله ليس مجرد لُعبة .. إننا نغامر بأرواحنا ، فى سبيل مبدإ نؤمن به ، وهذا المبدأ يحتاج منا إلى تضحيات كثيرة ، وخصومنا لايغفرون لنا أية

نقطة ضعف ، مهما بلغت ضآلتها ، بل يستغلونها لتحطيمنا تحطيمًا ، وتمزيقنا بلارحمة ، والأمر برمته عبارة عن حرب ضروس ، لاهوادة فيها ، ولامكان للمهزوم ، فإما أن تنتصر ، أو تموت ، وعليك أن تحدّد هدفك منذ هذه اللحظة ، فأنا أكره الجندى ، الذى يفرّ من ميدان القتال ، فإما أن تنسحب الآن ، قبل أن تبدأ المعركة ، أو تواصل القتال حتى النهاية ، مطيعًا للأوامر ، ومتنازلًا عن كل عواطفك الشخصية .. ماقولك ؟

احتقن وجه (عصام) ، وعاد يجلس فى بطء واستسلام ، ثم أطرق برأسه ، وغمغم :

ـــ ألا يمكننى الذهاب كصحفى ؟

أجابه فى حزم :

ـــ كلّا ، إن صالح الخطة يحتاج منك أن تبتعد عن ذلك الأمر تمامًا .

وارتدى سترته فى عصبية ، مستطردًا :

ـــ لقد أخطأنا بوضع كل البيض فى سلة واحدة ، كما يقول الإنجليز ، فلقد بنينا خطتنا كلها على (هاشم) ، وموته المفاجئ هذا يدمّر خطتنا كلها ، وينبغى لنا أن نتريّث طويلًا ، لنعرف موضع أقدامنا ، قبل أن ننتقل إلى الخطوة التالية .

وبدا شديد الحنق ، وهو يستطرد :

ـــ لو كانت هناك خطوة تالية .

هتف (عصام) فى توتر :

ـــ قل لى .. من قتل (هاشم) ؟.. ولماذا ؟

أجابه فى عصبية :

ـــ أما عمَّنْ قتله ، فهو الزعيم ولاشك .. أما لماذا ؟ ، فهذا هو ما يقلقنى ، فإما أنه قد قتله ؛ لأنه عرف أنه مراقب ، وإما أنه قد فعل ذلك لأنك خدعته ، ومن الضرورى أن نعرف السبب الحقيقى ، قبل أن نقدم على أية خطوة تالية ، وإلا .....

زفر فى عمق ، واستطرد فى حدة :

ـــ وإلا كان هذا يعنى موتك .. موتك على يد هؤلاء الثعالب ، الذين لايرتوون إلا من دماء الأبرياء .

شحب وجه (عصام) فى قوة ، على حين أغلق (عادل) الباب خلفه فى عنف ، وانطلق يبحث عن الحقيقة ، فى قضية الأشرار ..

أشرار الجزيرة ..

* * *

بدا (حامد منصور) محتقن الوجه فى شدة ، وهو يهتف :

ـــ إننى لم أقتله .. هل فقدتم عقولكم ؟.. كيف يمكن لكهل مثلى أن يقتل شابًا فتيًا ، مثل هذا الرجل .

أجابه (عادل) فى برود :

ـــ القتل بالرصاص لايحتاج إلى القوة ، فالصياد يقتل به فيلًا كاملًا فى الأدغال .

هتف (حامد) فى عصبية :

ـــ اسمع يافتى .. إننى أكره الحوارات الفلسفية ، وليس لدى ما أدافع به عن نفسى ، فكل ما حدث هو أن أحدهم قد اتصل بى فى جناحى ، وطلب منى الحضور إلى هذا الجناح ، لأمر بالغ الأهمية ، وعندما أتيت ، وجدت هذا الرجل قتيلًا .

التفت (عادل) إلى الشرطى السرى ، الذى كان يراقب الممر ، وسأله :

ـــ هل دخل شخص آخر إلى هذا الجناح ، بخلاف السيِّد (حامد) ؟

أجابه الشرطى فى احترام :

ـــ كلَّا ياسيِّدى .. لم يدخل سواه ، بخلاف السيد (هاشم) بالطبع .

عاد يسأله :

ــ هل يوجد مدخل آخر لهذا الجناح ؟

أجابه (فؤاد) هذه المرة :

ــ كلَّا .. هذا هو المدخل الوحيد .

وصمت لحظة ، ثم استدرك :

ــ فيما عدا النافذة بالطبع .

صاح (حامد) فى غضب :

ــ هل سأبقى هنا طويلًا ؟

التفت إليه (عادل) ، وقال فى حزم :

ــ أنت متهم بجريمة قتل ، ومن المحتمل ألا تعود إلى جناحك هذا أبدًا ، فقد تستبدل به زنزانة رطبة ، و.....

قاطعه صوت صارم ، يقول :

ــ هل تراهن ؟

التفت (عادل) إلى مصدر الصوت فى حدة ، ورأى أمامه رجلًا وقورًا ، تشفّ كل خلجة من خلجاته عن الصرامة والحزم والصلابة والعناد ، يستطرد :

ــ أنا (برهان شريف) .. محامى الأستاذ (حامد) .

كان اسم (برهان) وحده ، وشهرته الهائلة فى عالم المحاماة ، يكفيان ليقطب (عادل) حاجبيه فى غضب ، ويقول فى حدة :

ــ أنت غنى عن التعريف يا أستاذ (برهان) ، ولكننى أظن أن موقفك عسير هذه المرّة .

ابتسم (برهان) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ هل تظن ذلك ؟

ثم أشار إلى مدخل السلم ، مستطردًا :

ــ لقد كنت أقف هناك أيها العقيد ، وسمعت معظم الحديث ، ولولا ثقتى فى سلامة موقفى ، ماتحدَّثت بكل هذه الثقة .. لقد أشار أحد الشهود إلى أنه لم يسمع صوت طلقة رصاص ، وأشار آخر إلى احتمال دخول شخص آخر من النافذة ، ولم يؤكّد أى شاهد أن موكلى كان يحمل مسدسًا ، وهكذا يكون هناك شك ، والشك يؤوَّل فى القانون لمصلحة المتهم ، وهكذا يمكننى إخراج موكلى بكفالة ، و.....

ولقد فعل ..

* * *

ابتسم (برهان شريف) فى ثقة ، وهو يجلس مع (حامد) ، فى جناح هذا الأخير ، وقال :

ــ هل رأيت يا سيّد (حامد) ؟.. لقد هزمت الجميع .

زمجر (حامد) فى غضب ، وهو يقول :

ـــ هزمت من ؟.. كل مافعلته هو أن أخرجتنى بكفالة .

عقد (برهان) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ ألا تعتبر هذا انتصارًا ؟

مطَّ (حامد) شفتيه ، وهو يقول فى حدة :

ـــ ليس بعد .. مازالت هناك محاكمة .

هتف (برهان) :

ـــ هل تراهن أن ..؟

قاطعه (حامد) فى غضب :

ـــ صه .. أنت لاتصلح لهذا الأمر .. إنه يحتاج إلى شخص آخر .

هتف (برهان) فى استنكار :

ـــ محام آخر .

هزَّ (حامد) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ بل صحفى .

والتقط سمَّاعة هاتف حجرته ، مستطردًا :

ـــ صحفى يُدعى (عصام كامل) .

* * *

عقد (صفوان) حاجبيه الكثين ، وهو يدلف إلى شقته ، عندما التقط أنفه رائحة عطرة ، لم يألف مثلها من قبل ، وقفزت يده نحو مسدسه فى حدة ، عندما سمع صوتًا يقول فى حزم :

ـــ أغلق الباب خلفك يا (صفوان) .

انتزع (صفوان) مسدسه ، وقفز يضىء نورى الردهة ، ويصوِّب مسدسه نحو ذلك الرجل ، الذى وقف يتطلّع إليه فى هدوء ، هاتفًا :

ـــ من أنت ؟.. وكيف دخلت إلى شقتى ؟.. تكلّم قبل أن تخترق رصاصتى رأسك .

أطلّ الغضب منْ عينى الرجل الصارمتين ، وهو يقول :

ـــ إننى زعيمك أيها الغبى .

اتسعت عينا (صفوان) فى ذهول ، وهو يهتف :

ـــ الزعيم ؟!.. الزعيم الكبير ؟!

ثم عاد حاجباه ينعقدان فى حدة ، وهو يستدرك :

ـــ ولكننى لم أرك من قبل ، فكيف أثق بأنّك ..

قاطعه الزعيم فى صرامة :

ـــ هل أصف لك معمل الجزيرة ؟.. أم أخبرك باسمك الكودى ياسمك القرش ؟

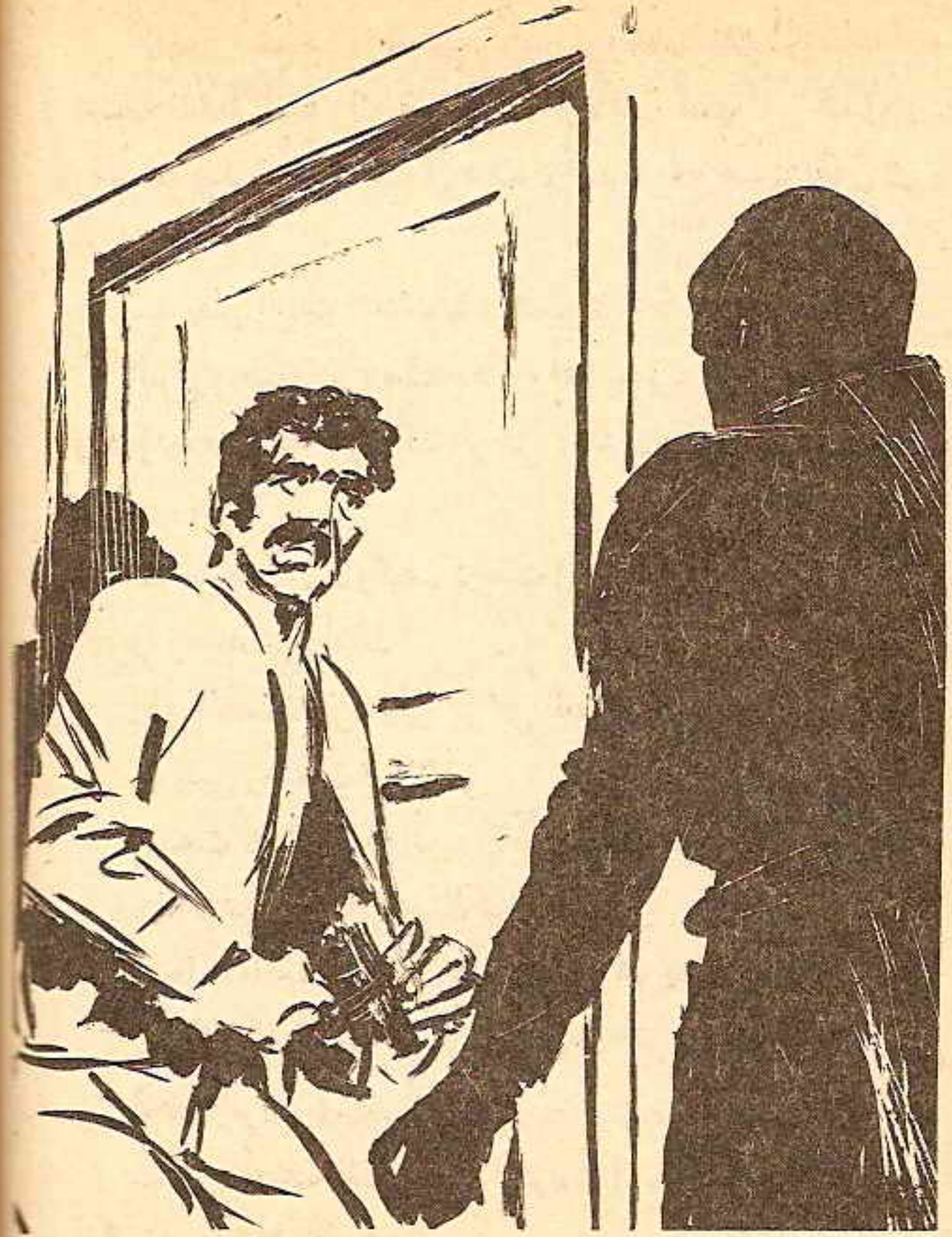

وقفزت يده نحو مسدسه فى حدة ، عندما سمع صوتًا يقول فى حزم ..

ــ أغلق الباب خلفك يا (صفوان) ..

شحب وجه (صفوان) ، وأسرع يخفض فوهة مسدسه ، هاتفًا :

ــ الزعيم ؟!.. ياله من شرف لى !.. لقد كان السيِّد (هاشم) وحده يراك ، و.....

قاطعه الزعيم فى حزم مخيف :

ــ لقد انتقل ذلك الشرف إليك ، اعتبارًا من الليلة .

تألَّقت عينا (صفوان) فى انبهار ، وهتف :

ــ و.. وماذا عن السيِّد (هاشم) ؟

أجابه الزعيم فى صرامة :

ــ لقد قُتِلَ .

هتف (صفوان) فى هلع :

ــ قُتِلَ ؟!.. من قتله ؟

أجابه الزعيم فى حزم :

ــ أنا .

شحب وجه (صفوان) ، وهو يغمغم فى رعب :

ــ أنت ؟

هدر صوت الزعيم ، وهو يقول :

ــ هل تعترض على ذلك ؟

تراجع (صفوان) ، هاتفًا :

ـــ كلَّا .. كلَّا أيها الزعيم .. هذا شأنك .

ابتسم الزعيم فى سخرية ، وقال :

ـــ عظيم .. والآن سيكون عليك تنفيذ أوامرى .

هتف (صفوان) :

ـــ على الرُّحب والسعة أيها الزعيم .. مر تجدنى رهن إشارتك .

ضاقت عينا الزعيم ، وهو يقول :

ـــ سيختص أوَّل أوامرى إليك بشخص يهمنى أمره جدًّا .

سأله فى حماس :

ـــ من هو ؟

برقت عينا الزعيم ، والتمعتا على نحو مخيف ، وهو يقول :

ـــ (عصام) .. (عصام كامل) .

★ ★ ★

١٠ ـــ الجزيرة ..

جلس (عصام) شاردًا ، فى قسم الحوادث بالجريدة ، يسترجع أحداث الشهرين الماضيين ..

كانت فترة عصيبة مخيفة فى حياته ..

فترة تعلّم فيها الكثير ..

الكثير جدًا .. .

من المؤكَّد أنه لم يعد هو نفسه (عصام) ، الذى كان منذ عامين .. لقد صار شخصًا آخر ..

شخصًا يختلف تمامًا عن ذى قبل ..

لقد تحوَّل من إنسان وديع مسالم ، إلى مقاتل عنيد شرس ..

لقد اختلف منحنى حياته تمامًا ، منذ عرف (عماد) و (عُلا) ، وشاركهما تحقيقاتهما البوليسية ..

ثم اختلف منحنى حياته مرة أخرى ، عندما التقى بـ (عادل محمود) ..

تُرى هل سيختلف منحنى حياته مرة ثالثة ؟..

هل ستستمر حياته أصلًا ؟!

أفاق من أفكاره على صوت زميل له ، يقول فى توتر :

ـــ (عصام) .. هناك زائر يطلب رؤيتك .

رفع (عصام) عينيه إليه ، وغمغم فى شرود :

ـــ زائر ؟!.. أى زائر هذا ؟

أجابه زميله فى توتر :

ـــ إنه لم يفصح عن اسمه ، ولكنه مظهره مخيف .

ومال نحوه ، مستطردًا فى خوف :

ـــ إنه يشبه كنج كونج(*) .

شعر (عصام) بقلبه يرتجف بين ضلوعه ، وهو يغمغم :

ـــ كنج كونج ؟!

لم يكد يتمّ عبارته حتى رآه أمامه ..

نفس الوجه الغليظ الملامح ، القاسى .. المخيف ..

نفس الوجه ، الذى يعيد إليه ذكرى المذبحة ..

وجه (صفوان) ..

(*) كنج كونج : شخصية خيالية ، ابتكرتها السينما الأمريكية فى الثلاثينات ، وهى عبارة عن قرد هائل الحجم ، قبيح الهيئة ، جعلته السينما يهزم نيويورك كلها ، ويحطّم مبانيها ، وأسطولها الجوى ، ولقد ظهر له فيلم حديث ، حوى أحدث ما ابتكرته التكنولوچيا .

وامتقع (عصام) ، وظلّ يحدّق فى وجه (صفوان) ، الذى قال فى هدوء :

ـــ هيا .

ومرة أخرى عاوده نفس الرعب ، الذى يزلزل كيانه ، كلما رأى وجه (صفوان) ، فاختنق صوته ، وهو يغمغم :

ـــ إلى أين ؟

أجابه فى حسم :

ـــ ستعلم فيما بعد .

ولم يستطع (عصام) المقاومة ..

بل لم يستطع المناقشة ..

لقد نهض فى استسلام ، وقال لرئيس القسم بصوت شاحب ممتقع :

ـــ سأغادر الجريدة ، فلدى عمل هام .

عقد رئيس القسم حاجبيه فى قلق ، وقال فى صوت صارم :

ـــ (عصام) .. هل تغادر المكان بإرادتك ؟

حاول (عصام) أن يبتسم ، إلا أن ابتسامته جاءت باهتة ، ضائعة ، وهو يقول :

ـــ بالطبع .. من يمكنه أن يجبرنى على فعل ما لا أريد ؟

ثم غادر المكان مع (صفوان) ، الذى لم ينطـق بحرف واحد ، حتى غادر الجريدة ، فأشار إلى سيارة فاخرة ، وقال :

ــ اركب .

دلف (عصام) إلى السيارة فى صمت واستسلام ، وجلس (صفوان) إلى جواره ، وأمر السائق بالانطلاق ، فغمغـم (عصام) فى شحوب :

ــ إلى أين ؟

أجابه (صفوان) فى برود :

ــ ستعلم فيما بعد .

لاذ (عصام) بالصمت التام ، وخيِّل إليه أن السيـارة تنطلق به إلى حتفه ، وكان وجود (صفوان) إلى جواره يلجم لسانه ، ويبعث الرعب فى قلبه ، حتى أنه لم يجرؤ على إلقاء سؤال واحد ، حتى وجد السيارة تنطلق خارج (القاهرة) ، فهتف فى فزع :

ــ إلى أين ؟

أجابه (صفوان) فى برود :

ــ أنت تكثر من الأسئلة ياسيِّد (عصام) .

غمغم (عصام) فى توتر :

ــ لابد أن أعرف .

ابتسم (صفوان) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ وماذا ستفعل بعد أن تعرف ؟

أجابه فى حدة :

ــ المهم أن أعرف .

التفت إليه (صفوان) فى هدوء ، وحَدَجه بنظرة جمَّدت الدم فى عروقه ، وهو يقول :

ــ هل عرفت أن (هاشم) قد قُتِل ؟

أجابه فى شحوب :

ــ نعم .

لاح شبح ابتسامة ساخرة على شفتى (صفوان) ، وهو يقول :

ــ كيف تصوَّرت أن تجرى الأمور بعد مصرعه ؟

غمغم (عصام) :

ــ تعود إلى السابق .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول فى سخرية :

ــ خطأ .

ثم اعتدل ، مستطردًا :

ـــ ستصبح الأمور أفضل .

وبعدها لاذ بصمت طويل ، حتى انحرفت السيارة فى طريق معروف ، فغمغم (عصام) :

ـــ هل سنذهب إلى (الغردقة) ؟

أجابه (صفوان) فى برود :

ـــ كمرحلة أولى .

لم يعد (عصام) يحتمل أسلوبه ، فهتف فى حنق :

ـــ وبعدها إلى (شدوان) .. أليس كذلك ؟

ابتسم (صفوان) فى سخرية ، وهو يقول :

ـــ يبدو أنك ذكى بالفعل ، كما يقولون .

هتف (عصام) فى حدة :

ـــ نعم .. يبدو ذلك ..

مال (صفوان) نحوه ، وقال فى سخرية :

ـــ رائع .. هل يمكنك أن تستنتج كيف سنذهب إليها ؟

هتف (عصام) فى تحد :

ـــ بوساطة مركب صيد .

هزَّ (صفوان) رأسه نفيًا ، وقال فى برود :

ـــ خطأ .

ثم ابتسم مستطردًا :

ـــ سنذهب إليها فى غواصة .

★ ★ ★

١١ ــ وكر الأشرار ..

لم يفارق الذهول (عصام) لحظة واحدة ، منذ بدأت الرحلة البحرية إلى (شدوان) ..

لقد استقلّ مع (صفوان) زورقًا بخاريًا خاصًا من الغردقة، انطلق بهما إلى عمق البحر، ثم توقّف، فقال (صفوان) :

ــ استعد .. سننتقل الآن إلى الغواصة .

هتف (عصام) فى ذهول :

ــ الغوّاصة ؟!

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى شعر بارتجاج قوى فى الزورق ، وقبل أن يتساءل عن سببه ، انزاح جزء من قرار الزورق ، وظهر تحته مكان واسع ، جعل (عصام) يهتف :

ــ من أين جاء هذا المكان ؟

أجابه (صفوان) مزهوًا :

ــ إنها غوّاصتنا الخاصة .. لقد صممناها والزورق على نحو خاص ، يجعلها تلتصق بقراره ، فيصبحان جزءًا واحدًا ، ويصبح الانتقال من أحدهما إلى الآخر أمرًا بسيطًا ، يمكن أن يتمّ فى سرعة ، ودون أن يلحظه أحد ..

غمغم (عصام) مشدوهًا :

ــ يا إلٰهى !.

أشار إليه (صفوان) ، قائلًا فى لهجة آمرة :

ــ هيا .. سننتقل إلى الغوّاصة .

أطاعه (عصام) ، وانتقل معه إلى الغوّاصة ، التى انفصلت عن قرار الزورق ، وانطلقت نحو الجزيرة ، فهتف (عصام) :

ــ كم كلّفكم هذا ؟

أجابه (صفوان) ساخرًا :

ــ هذا أمر تافه ، لم يتكلّف سوى بضعة ملايين فحسب .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ــ إنك لم تر المعمل والمزرعة بعد .

غمغم (عصام) مشدوهًا :

ــ المعمل والمزرعة ؟!

أجابه (صفوان) ، وهو يلوّح بذراعه فى استهتار :

ــ نعم .. إنهما تحفة الزعيم .. تحفة كل العصور .. لقد تكلّفا مليار جنيه تقريباً ، ولكنهما يدرّان مليارات .

ــ ثم استطرد فى ارتياح :

ـــ وستراهما بعد لحظات ، فقد وصلنا .

صمت (عصام) تمامًا ، وهو يشعر بالغوّاصة ترتفع إلى السطح ، وأشار إليه (صفوان) بالصعود ، قائلًا :

ـــ هيا .. سأتبعك .

صعد (عصام) فى قلق وتردُّد ، دون أن يدرى أين هو .. كل ماأدركه هو أنه فى مكان مغلق ، تضيئه المصابيح الضوئية ، على الرغم من أنهم فى وضح النهار ..

وفجأة رأى كل شىء ..

وأصابه الذهول ..

ذهول حقيقى ..

ذهول رهيب ..

لقد عرف الآن جواب سؤاله ..

عرف لماذا (شدوان) ؟..

لماذا تلك الجزيرة بالذات ؟..

★ ★ ★

« كيف لم تمنعه من الانصراف ؟ »

هتف (عادل) بهذه العبارة فى توتر بالغ ، فارتبك رئيس قسم الحوادث ، وهو يقول :

ـــ لقد سألت (عصام) عما إذا كان ينصرف بمحض إرادته ، فأكَّد لى ذلك ، ثم إن الرجل لم يكن يحمل أية أسلحة ، و.....

صاح (عادل) فى عصبية :

ـــ كان يحمل ماهو أخطر من الأسلحة .

غمغم رئيس القسم فى توتر :

ـــ وما الأخطر من الأسلحة ؟

أجابه (عادل) متوترًا :

ـــ الخوف .

ثم لوَّح بذراعه ، مستطردًا :

ـــ إن هذا يعنى أننا قد فقدنا (عصام) .. فنحن لانعلم مع من انصرف ، وإلى أين ذهبا .. لقد فقدنا أثره .

شحب وجه رئيس القسم ، وهو يسأله :

ـــ هل يتعرَّض (عصام) لخطر شديد ؟

قلب (عادل) كفيه ، وهو يقول :

ـــ من يدرى ؟.. ربما كان فى أمان ، وربّما يتعرّض لخطر داهم ..

وبكى صوته بلادموع ، وهو يستطرد :

ــ خطر الموت بلارحمة ..

★ ★ ★

تطلّــع (عصام) مبهورًا مشدوهًـــا إلى ذلك الصرح الضخم ..

معمل كامل لتكرير وصنع الهيروين والكوكايين ، فى قلب الجزيرة ..

معمل من أحدث المعامل فى هذا المضمار ..

وجهاز توليد كهرباء خاص ..

ومزرعة ..

أعجب مافى الأمر هى هذه المزرعة ..

مزرعة ضخمة صناعية ، يرويها نظام رى بالغ الحداثة ، وتمنحها بعض المصابيح الصناعية الضخمة ، مايعوِّضها عن أشعة الشمس ..

مزرعة للخشخاش ..

تلك الزهرة اللعينة ، التى يُستخرج منها معظم المخدرات ..

وكان الأمر كله يبدو أشبه بمشروع متكامل ..

وقال (صفوان) ، وهو يشرحه لـ (عصام) :

ــ إنه أعظم مشروع متكامل للمخدرات .. من البداية إلى النهاية ، فهنا نزرع الخشخاش ، ثم نصنّعه ، ونستخرج منه الأفيون ، والهيروين ، والكوكايين ، وحتى الحشيش .. ويتم تعبئة كل الأصناف ، وإعدادها للتصدير .

غمغم (عصام) فى دهشة :

ــ التصدير ؟

أجابه (صفوان) فى زهو :

ــ بالطبع .. أتظن عملنا يقتصر على (مصر) وحدها .. كلّا يافتى .. إننا نصدِّر منتجاتنا للوطن العربى كله ، من المحيط إلى الخليج .

كاد (عصام) يبصق فى وجهه ، وهو يسمعه ينطق هذه العبارة ..

كاد يصرخ قائلًا : إنه يسىء بقوله هذا إلى العالم العربى كله ..

ولكنه لم يفعل ..

لقد كتم غضبه كله فى أعماقه ، وسأل (صفوان) :

ــ كيف أقمتم كل هذا ؟

أطلق (صفوان) ضحكة عالية ، وقال :

ـــ إننا لم نقم سوى المنشآت ، فلقد كان كل هذا قائمًا ، منذ الحرب العالمية الأولى ، ثم هجره من أنشأه لسبب ما ، دون أن يدلى بسره ، فبقى المكان مجهولًا ، بمدخله المختفى تحت الماء ، حتى كشفه الزعيم ، فحوّله إلى ذلك المكان الرائع ، الذى تراه الآن .

وضحك مرة أخرى ، مستطردًا :

ـــ عبقرى هو هذا الزعيم .. أليس كذلك ؟

غمغم (عصام) :

ـــ بلى .

وراح يتأمّل فى المكان مرة أخرى ، قبل أن يسأل :

ـــ من الطبيعى أن الشرطة لم تكشف أمركم أبدًا .

قال (صفوان) فى سخرية :

ـــ الشرطة ؟!

وأطلق ضحكة ساخرة عالية ، قبل أن يضيف :

ـــ إننى أكره الشرطة ، كما لم أكره أى شىء آخر فى حياتى كلها ، ومنذ شهرين ، أعدّ لنا رجال الشرطة كمينًا ، عن طريق مرشد من رجالهم ، اندسّ فى صفوفنا ، ولكننا لقنّاهم درسًا لن ينسوه أبدًا ، و.....

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه الكثين فى عنف ، والتفت إلى (عصام) فى حركة حادة ، وهو يقول فى شراسة :

ـــ نعم .. كمين الشرطة منذ شهرين .

شحب وجه (عصام) ، وانقبض قلبه فى رعب هائل ، وهو يحدّق فى وجه (صفوان) المخيف ، الغليظ الملامح ، وهذا الأخير يستطرد فى وحشية :

ـــ لقد تذكّرت الآن أين رأيتك .

وقبل أن ينطق (عصام) بحرف واحد ، ارتفعت فوهة مسدس (صفوان) فى وجهه ، وسمعه يقول فى وحشية وشراسة :

ـــ لقد عرفتك .. لقد عرفتك .

وامتلأت نفس (عصام) برعب هائل ، وتجمدّ جسده ذعرًا ، وراح يحدّق فى فوهة المسدس ، التى أطلّ منها الموت .. الموت بلا رحمة ..

* * *

انتهى الجزء الأوّل

ويليه الجزء الثانى

[قضية زعيم الثعالب]

مغامرات ع × ٢

سلسلة الفانتازية مثيرة للشباب تنشط العقل وتنمى الفكر والذكاء..

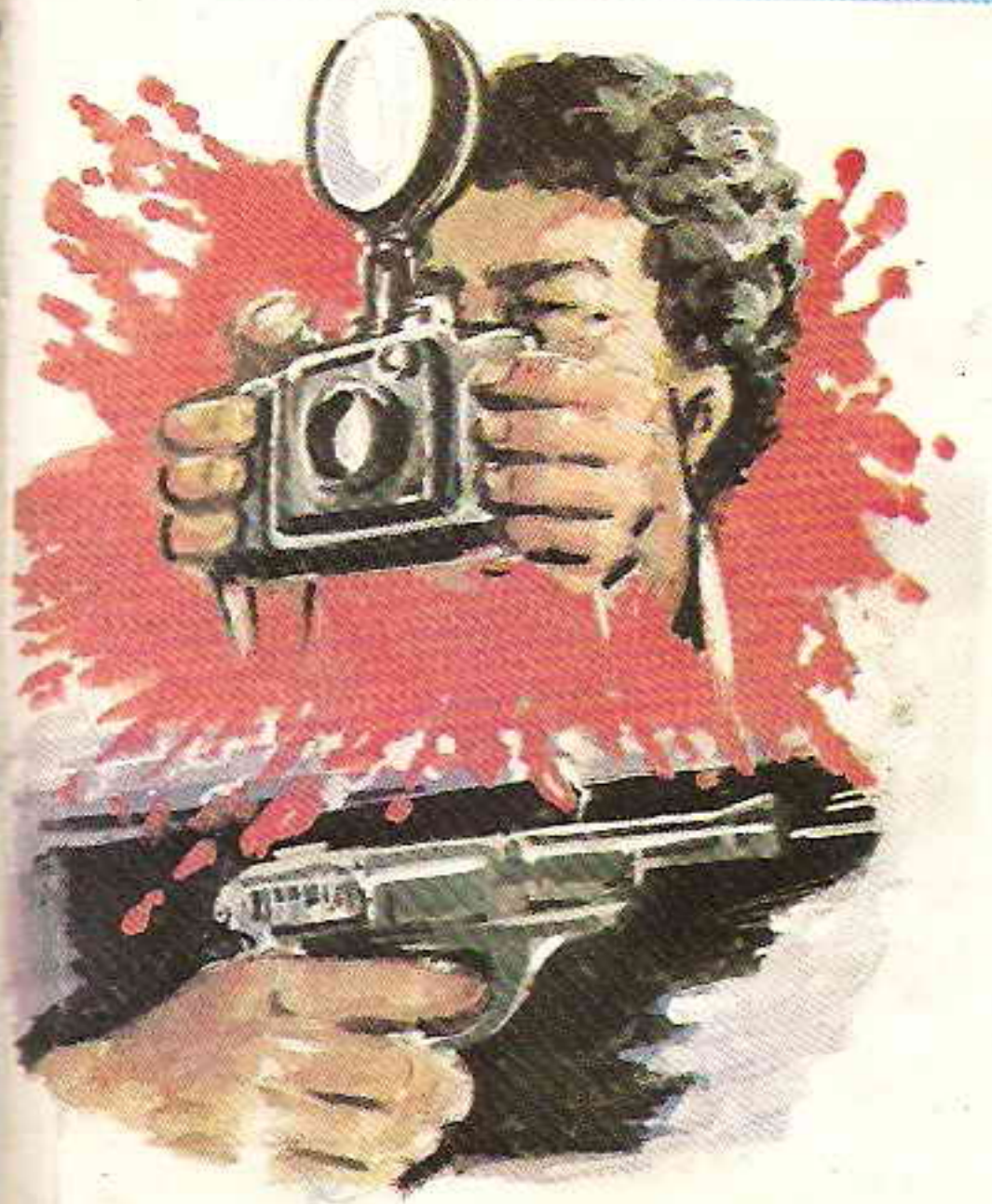

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية جزيرة الأشرار

- منظمة رهيبة لترويج المخدرات ، أعدَّت كمينًا لرجال الشرطة ، ومذبحة رهيبة لهم ، على جزيرة (شدوان) ..
- كيف يواجه (عادل محمود) و (عصام كامل) مثل هذه المنظمة الرهيبة ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ، وقاتل الجريمة مع فريق (ع×٢) الجديد ..

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ ش الجلاء سراي العباسية - القاهرة - ت ٨٤٥٥٠٩

الثمن فى مصر ١٠٠ قرش
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
(قضية زعيم الثعالب)